الرابطة

السنة ٥٧ العدد ٦٥١ ربيع الآخر ١٤٤٢هـ - ديسمبر ٢٠٢٠م

«السيرة النبوية وبناء المجتمعات الحضارية»

«الإسلام لا يعيش أزمة بل يتعرض إلى التشويه والإساءة»

الفعاليات الإندونيسية: لن ينسى العالم الإسلامي للرابطة خدمتها الجليلة للسيرة النبوية

الرابطة ومبادراتها الإنسانية

منتدى القيم الدينية لمجموعة العشرين، مناسبةٌ للتوعية بدور المنظمات الدينية، وفرصةٌ لجذب الانتباه إلى توظيف الأثر الإيجابي للدين والقيم في نماء العالم وسلامه.

شارك في المنتدى قيادات وخبراء وممثلون للأديان، بجانب شخصيات دينية رفيعة المستوى، ناقشوا قضايا مهمة مثل: دور الدين في بناء جسور السلام وحل النزاعات، وجائحة كورونا، وتمكين المرأة والشباب، وجهود المؤسسات الدينية في مواجهة تهديدات المناخ وحماية كوكب الأرض.

وفي هذا الإطار جاءت الكلمة الضافية التي ألقاها معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى في افتتاح المنتدى، متضمنة المعاني المهمة التالية:

- لدينا جميعاً أصوات معتدلة محبة للجميع ترفض كل أشكال الكراهية والعنصرية والتمييز والتهميش.

- تقديم الشكر والتقدير لخادم الحرمين الشريفين على ترسيخ قيم الوسطية والاعتدال ومكافحة التطرف والإرهاب، وكذلك على الخدمات الإنسانية العالمية، والأعمال التاريخية التي تحولت بحمد الله إلى مصدر إلهام عالمي، منها أكبر المنصات حول العالم لمواجهة الفكر المتطرف، ومبادرة المملكة ورعايتها لأهم وثيقة في التاريخ الإسلامي بعد وثيقة المدينة المنورة، وهي وثيقة مكة المكرمة.

- قصة السلام الحقيقي وصناعته لا تأتي بمجرد الأقوال، ولا من خلال فقاعات مصطنعة، ولا تأتي بنظريات غير منطقية، ولا بنداءات وشعارات تعقد الأمور، ولا بحوارات غير مسبوقة بالنيات الصادقة والمخلصة، وإنما بالأثر الملموس الذي يسهم بفاعلية في نفع الإنسانية من خلال المحافظة على أمنها وتعايشها وتعاونها وتعزيز أخوتها.

- إن جميع أتباع الأديان والثقافات، هم إخواننا في الإنسانية، وسنعمق هذه الأخوة لنصنع بها المزيد من جهود السلام الحقيقية .

- مواقف رابطة العالم الإسلامي الإنسانية، هي من صميم الواجب الإسلامي والأخلاقي نحو بناء مجتمعات مسالمة وآمنة وواعية لتعزيز ثقافة المحبة والاحترام خاصة للأجيال المقبلة.

- مثال هذه المواقف الإنسانية؛ تلبية طلب الرئيس السريلانكي للمساعدة لإنهاء حالة الاحتقان والكراهية المتبادلة بين أتباع الأديان بعد التفجيرات الإرهابية في العاصمة كولومبو، وما تحقق من النتائج الإيجابية.

- الإشارة إلى المبادرات الفعالة التي أطلقتها رابطة العالم الإسلامي لمواجهة كل أشكال العنصرية والكراهية، وتهميش دور المرأة حول العالم.

- عمل الرابطة على مواجهة الفقر حول العالم بوصفه أكبر مهددات الأمن البشري، وتقديم المساعدات الإنسانية بالغذاء والدواء للملايين من الأفراد والأسر والأرامل والأيتام حول العالم، دون تمييز بينهم، وتعزيز هذه المساعدات في ظل ظروف جائحة كورونا.

وهكذا تستمر مواقف الرابطة الإنسانية من خلال برامجها الإغاثية العاجلة، والدبلوماسية الدينية عبر الوساطة والمساعي الحميدة، وجهودها في الحوار والتفاهم بين أتباع الأديان والمثقفين، ورفع راية التضامن والتعايش والأخوة الإنسانية.

بسم الله الرحمن الرحيم

شهرية - علمية - ثقافية

الأمين العام
أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

المدير العام للاتصال والإعلام
أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري

رئيس التحرير
د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير
ياسر الغامدي

المراسلات:
مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة
هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٣٨٧
فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٤٨٩
المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير
البريد الإلكتروني:

mwljournal@themwl.org

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر
للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org

طبعت بمطابع تعليم الطباعة
رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ - ردمد: ١٦٥٨-١٦٩٥

المحتويات

الفعاليات الإندونيسية: لن ينسى العالم الإسلامي للرابطة خدمتها الجليلة للسيرة النبوية
10

الإسلام لا يعيش أزمة بل يتعرض إلى التشويه والإساءة
20

وثيقة مكة جاءت لتذكر الإنسانية جمعاء بقيم المحبة والرحمة والبناء
26

العدد: ٦٥١
ربيع الآخر ١٤٤٢ هـ - ديسمبر ٢٠٢٠ م

غلاف العدد

الرابطة تدين الهجوم الإرهابي في كابول

مكة المكرمة - الرابطة

أدانت رابطة العالم الإسلامي باسم أمينها العام معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، وكافة هيئاتها ومجامعها، ومجالسها العالمية، وعُلماء وشُعوب العالم الإسلامي المنضوين تحت مظلتها الهجوم الإرهابي المروع الذي ضرب جامعة كابول في أفغانستان وخلّف وراءهُ العديد من الضحايا المدنيين الأبرياء.

وأكدت الرابطة على أن مثل هذه الهجمات الإرهابية لا تصدُر إلا من أنفُسٍ مريضة مهووسة بالعنف والعدوان، وأن حفظ الدماء والأنفس من الأسس العظيمة التي جاء بها الإسلام.

كما أكدت الرابطة على أهمية تضافر الجهود الوطنية الأفغانية وتوحيدها، وعلى أهمية وقوف الجميع مع بعضٍ لتعزيز الأمن والاستقرار.

وقدمت الرابطة تعازيها الخالصة لأسر الضحايا وذويهم والشعب الأفغاني العزيز.

البيئة التعليمية تعزيز لقيم المواطنة 38

المئذنة وعالمية الحضارة الإسلامية 50

رابطة العالم الإسلامي تدين الاعتداء الذي استهدف مناسبة في جدة

مكة المكرمة:

دانت رابطة العالم الإسلامي حادثة الاعتداء الذي وقع أثناء حضور القنصل الفرنسي لمناسبة في محافظة جدة، ونتج عنه إصابة أحد موظفي القنصلية اليونانية ورجل أمن سعودي بإصابتين طفيفتين.

وأكدت الرابطة في بيان صادر عن معالي الأمين العام للرابطة رئيس هيئة علماء المسلمين الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى أن هذا الاعتداء الجبان والمعزول لا يُمثل إلا نفسه، ولا يصدر إلا عن مجرم حاقد.

وختم معاليه بالتعبير عن خالص دعواته للمصابين بالشفاء العاجل.

mwlorg | www.themwl.org

بيـــــان

مكة المكرمة:

أدانت رابطة العالم الإسلامي باسم أمينها العام معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، وكافة هيئاتها ومجامعها، ومجالسها العالمية، وعلماء وشعوب العالم الإسلامي المنضوين تحت مظلتها، الهجماتِ الإرهابيةَ التي أصابت العاصمة النمساوية فيينا، معتبرةً أن هذه الأعمال الآثمة لا يمكن أن تقبلها الشرائع السماوية ولا النفس الإنسانية السوية.

وأكدت أنه لا يُمكن أن يُقدِم على مثل هذه الأعمال إلا مجرمون إرهابيون، وبأن تستُّر هؤلاء الإرهابيين خلف ستار الإسلام العظيم لتبرير أعمالهم الشيطانية لا يمكن أن ينطلي على أحد، فالإسلام دين سلامٍ ورحمة، ترفض نصوصُه الواضحة جميع أشكال العنف والترويع والظلمٍ وقتل الأبرياء، ويُدركُ المؤمنون به ("أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا") سورة المائدة.

وأكد البيان على أن التصدي للإرهاب وملاحقة مروجيه ومرتكبيه، يجب أن يكون في طليعة واجبات ومهام المجتمع الدولي والمجتمعات الوطنية، مُشدداً على أهمية نسبة هذه الأفعال الإجرامية إلى مُرتكبيها دون غيرهم.

واستشهد البيان بإجماع مُفتي ومفكري وعلماء الأمة الإسلامية في مؤتمر وثيقة مكة المكرمة أمام الكعبة المُشرفة على المبادئ الإنسانية السامية، ومنها رفض الاعتداء على دور العبادة، واعتباره عملاً إجرامياً يتطلب الوقوف إزاءه بحزم وقوة.

وقدمت الرابطة أصدق عبارات التعازي والمواساة لأسر الضحايا وذويهم، متمنيةً للمصابين الشفاء العاجل.

بيـان

أدانـت رابطـة العالـم الإسـلاميّ الجريمـة الإرهابيّـة التـي وقعـت بمدينـة نيـس الفرنسيّة، والتي أسفرت عن مقتل عدد من الأبرياء وإصابة آخرين.

وتُؤكـد رابطـة العالـم الإسـلاميّ باسـم أمينهـا العـام معالـي الشـيخ الدكتـور/ محمـد بـن عبـد الكريـم العيسـى، وكافّـة هيئاتهـا ومجامعهـا ومجالسـها العالميّـة، وعُلمـاء وشُـعوب العالـم الإسـلامي المُنضويـن تحـت مظلتهـا، اسـتنكارها وإدانتهـا الشـديدة لهـذا العمـل الإرهابـي الشـنيع، وأنَّ هـذا الإجـرام لا يُمثّـل إلا نفسـه، وأنَّ ديـن الإسـلام بـريء منـه، ويُعتبـر جريمـة بشـعة لا تصـدر إلا عـن أيديولوجيـا إرهابيّـة غذتهـا المفاهيـم المتطرفـة بميولها الإرهابية.

وتُجـدّد الرابطـة موقفهـا الثابـت والرافـض لمُختلـف أشـكال العُنـف والإرهاب أياً كان مصدرها ومنطلقاتها وتُناشد الرابطة بتضافر الجهود من الجميـع، لاسـيما تفعيـل دور القيـادات والمُؤسسـات المؤثـرة حـول العالـم لتعزيـز ثقافـة المحبـة والسَّـلام والحـوار لأجـل القضـاء علـى نزعـات الكراهيّـة والعنف ، والتصدّي للتنظيمات الإرهابيّة وكل من يدعمها ويمولها.

كمـا تُعـرب الرابطـة عـن صـادق تعازيهـا ومُواسـاتها لأسـر الضحايـا، وتمنياتهـا بالشـفاء العاجـل لجميـع المصابيـن جـراء هـذا العمـل الإجرامـيّ.

رابطة العالم الإسلامي:

وعينا الإسلامي يجعلنا أكثر حكمة في التعامل مع أي محاولة للتطاول والإساءة

مكة المكرمة:

أدانت رابطة العالم الإسلامي "مجدداً" أساليب الإساءة لأتباع الأديان ومن ذلك "الرموز الدينية" لأي دين، وبيَّنت أن الإسلام ينهى عن ذلك، موضحة أن علماء المسلمين ذكروا أن "مقابلة الإساءة بالإساءة تدخل في هذا النهي؛ إذ تُغْرِي المسيء بالمزيد دون طائل ولا نهاية".

وأكدت الرابطة على أن المبدأ الحقوقي لـ"حرية التعبير" لا بد أن يؤطر بالقيم الإنسانية التي تقوم على احترام مشاعر الآخرين، وأن حرية الرأي متى خرجت عن تلك القيم فإنها تسيء للمعنى الأخلاقي للحريات، كما تسيء إلى مقاصد التشريعات الدستورية والقانونية التي أكدت على ضمان حرية إبداء الرأي بأي أسلوب مشروع، ولم تقصد من ذلك إثارة الكراهية والعنصرية بذريعة حرية الرأي، ولا افتعال الصراع الثقافي والحضاري بين الأمم والشعوب.

وأضافت الرابطة في بيان أصدرته في هذا الشأن أن هذه التصرفات هي محسوبة على أصحابها ولا تتحملها الشعوب التي تربطها ببعض صلات المحبة والاحترام، فنحن في رابطة العالم الإسلامي لا نَحْمِلُ في قلوبنا نحو الشعوب الأخرى، ومن ذلك أتباع الأديان إلا محبة الخير لهم، بل إننا نقابل السيئة بالحسنة؛ عملاً بقول الله تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).

وأشار بيان الرابطة إلى أن الإساءة للرموز الدينية الإسلامية تعني الإساءة لمشاعر أكثر من مليار وثمانمائة مليون مسلم، ولكن الإسلام في جميع الأحوال لن يكون في موقف مقابلة الإساءة بالإساءة، "ولكنه يوضح الحقيقة لمن يجهلها"، كما أنه في هذا السياق يندد بأي أسلوب من أساليب التصعيد من أي طرف، ويَعْتبر ذلك إساءة للقيم الدينية التي جاءت رحمة للعالمين ومُتَمِّمَةً لمكارم الأخلاق، فضلاً عن كون ذلك إساءة للقيم الدستورية للدول المتحضرة والتي أوضح شراح دساتيرها أنها جاءت بالقيم الإنسانية ومن ذلك المعنى الأخلاقي الكبير للحريات المشروعة المشتمل على مفاهيم الاحترام وتعزيز المحبة بين الجميع.

وتابع بيان الرابطة الصادر عن معالي أمينها العام

رئيس هيئة علماء المسلمين الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، بأن الرابطة تُدرك بأن الباعث على أساليب إثارة المشاعر الدينية من خلال الإساءة لرموزها لا يعدو "في ظاهره" سوى محاولة الاستفزاز لتحقيق مكاسب مادية.

كما أشار البيان إلى أن المولى جل وعلا أمرنا في هذا الشأن وأمثاله بقوله سبحانه: "وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ"، وبقوله تعالى: "وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ"، وهذا هو أدب الإسلام الرفيع مع كل مسيء بقوله، أياً كانت أسباب الإساءة؛ لأن الإسلام كبير، ورسالته سامية، ولا يمكن لمُهَاتِرٍ بقوله أن يطال من عظمتها وقوتها ولا ينال من حقائقها.

وقال البيان إن رسالة الإسلام بدأت برجل عظيم هو سيدنا ونبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم حتى بلغ اليوم أكثر من مليار وثمانمائة مليون مسلم، وبَيَّن لنا القرآن الكريم بأن أخلاقه عظيمة، كما جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم بأنه "لم يكن فاحشًا ولا مُتَفَحِّشًا ولا صَخَّابًا في الأسواق، ولا يَجْزِي بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يَعْفُو ويَصْفَحُ".

وأكد البيان على أن وَعْينا الإسلامي يجعلنا أكثر حكمة في التعامل مع أي محاولة للتطاول والإساءة، كما أن وَعْيَنا الإسلامي يُدرك أن كثيراً من المزايدين في هذا يراهن ـ كما أشرنا غَيْرَ مرةٍ ـ على ردة الفعل غير الحكيمة لتحقيق مكاسب خاصة، ومن ذلك إضفاء القيمة والأهمية والعالمية على إساءته، ومثل هؤلاء لا يُمكن أن يراهنوا إلا على الأقوياء؛ فهناك كثير من الرسامين ومن الصحف كانوا مطمورين مغمورين فاشتهروا

وحققوا أرباحاً جلبتها لهم "مجاناً" ردود الفعل التي لم تدرس الموضوع من كافة جوانبه، وهو ما أعطى البعض "تصوراً خاطئاً جداً" بأن الإسلام بهذا القدر من الضعف بحيث لا يتحمل مهاترات لا قيمة لها ولا وزن، بينما الإسلام "أكبر" و"أقوى" من ذلك كُلِّه، كما أننا على يقين تام بوعد الله تعالى لسيدنا ونبينا صلى الله عليه وسلم حيث يقول جل وعلا: "والله يعصمك من الناس"، ويقول سبحانه: "إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ"، فقد حفظ الله سبحانه نبيه الكريم من تلك المهاترات وهي "عصمة" و"كفاية عامة وشاملة ودائمة".

وأكدت رابطة العالم الإسلامي على إثر الرسوم التي نشرتها بعض الصحف الفرنسية بأن ذلك لا يُمثل سوى أصحابها، ولا يُمثل وجدان الشعب

الفرنسي بكافة تنوعه تجاه غيره من الشعوب والأمم والأديان والأفكار، حيث لمسنا من الشعب الفرنسي الصديق المحبة والتقدير واحترام الجميع وهو ما يعكس القيم الفرنسية الحقيقية، ونحن نبادله نفس الشعور، ولنا معه علاقات صداقة وطيدة، ومن ذلك كبار القيادات الدينية وعدد من كبار المفكرين والبرلمانيين والحكوميين والإعلاميين، كما أننا فخورون بأن عدداً من المسلمين هم من ضمن المُكَوِّن الفرنسي بلُحْمته الوطنية الواحدة، وقد قدموا تضحيات من أجل بلدهم فرنسا وشاهدنا أسماء أولئك الرجال العظماء على جدار: "مسجد باريس الكبير".

وأضاف البيان أننا أكدنا عدة مرات بأن رابطة العالم الإسلامي ضد أي أسلوب من أساليب التأثير على اللحمة والوحدة الوطنية لأي بلد حول العالم، وأننا ندين أي أسلوب من أساليب الانفصالية والانعزالية التي تخرج عن رابطتها الوطنية وأنه يجب على كل من يُقِيْم على أرض بلد أن يحترم دستورها وقانونها وقِيَمَها، وأن المطالبة بالخصوصيات الدينية تكون عبر الأدوات الدستورية والقانونية وليس غيرها، وأكدنا خطورة خطاب الكراهية وخطورة الصدام والصراع الثقافي والحضاري، وخطورة التهادر اللفظي الذي لا يفيد سوى زرع الكراهية، ولن يستفيد منه سوى أعداء السلام والوئام وأولئك الذين لا مكان في قلوبهم للآخرين.

وأكد البيان على أن الرسوم التي تحاول التطاول على مقام سيدنا ونبينا الكريم صلى الله عليه وسلم لم ولن تمسه بسوء فهو أكبر وأجل وأقدس من أن يطاله متطاول، وإن كانت مسيئة لنا نحن المسلمين بشعورنا العظيم نحو سيدنا ونبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، ولكننا نعالج ذلك بالحكمة، كما أننا لا نُعَمم هذا التصرف على الآخرين، ونُفَوِّت الفرصة على كل من راهن على ردة فعل يرمي من ورائها إلى تحقيق مكاسب ذاتية.

وشدد البيان على أن الرابطة ليست ضد الحريات المشروعة، ولكنها ضد توظيفها المادي المسيء لمفهومها الأخلاقي الكبير، وما ينتج عن ذلك من زرع الكراهية والعنصرية في مقابل ما يجب من تعزيز المحبة والوئام بين الأمم والشعوب، مؤكداً على: "أن الرابطة هي دوماً ضد أي أسلوب من أساليب العنف تحت أي ذريعة".

وتابع البيان بقوله: لن تسمح قيم الحريات بأن تكون جسراً للكراهية والسخرية بالآخرين، وهذا بلا شك أكبر إساءة لتلك القيم وأكبر تلاعب بمعانيها النبيلة، كما يظهر ذلك من ازدواجية معاييرها، وانحراف مقاصدها.

وأضاف: "يجب علينا من منطلق أخوتنا الإنسانية وقيمنا المشتركة ألا نُعَلِّم أطفالنا تلك المفاهيم الخاطئة حتى لا تَخْرُجَ فِطَرُهُم السليمة وقلوبهم النقية على عالم كارهٍ لبعض تُشْعِله قيم الحرية المفترى عليها".

وتابع بقوله: دوماً نؤكد بأننا لا نرضى مطلقاً بأي إساءة لأي من رموز أتباع الأديان الأخرى، كما أن محاولة الإساءة لأي نبي من أنبياء الله تعالى تعني بالنسبة لنا محاولة الإساءة لبقية الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ومنهم سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فنحن لا نفرق بين أحد من أنبياء الله ورسله، قال تعالى: "قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ".

بحضور العيسى ودولة نائب الرئيس الإندونيسي السابق

الفعاليات الإندونيسية: لن ينسى العالم الإسلامي للرابطة خدمتها الجليلة للسيرة النبوية

في عمل تاريخي .. تدشين أشمل موسوعات ومؤلفات السيرة النبوية البالغة ٢٠٠ عنوان

الرياض:

وقعت رابطة العالم الإسلامي ومؤسسة السيرة النبوية بجمهورية إندونيسيا، اتفاقية انطلاقة متاحف ومعارض السيرة النبوية والحضارة الإسلامية في العاصمة الإندونيسية جاكرتا، بحضور معالي الأمين العام للرابطة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، ودولة نائب الرئيس الإندونيسي السابق السيد يوسف كالا.

وستكون الانطلاقة على أرض تبلغ مساحتها (بالمرافق المصاحبة) أكثر من مائة ألف متر مربع في أميز المواقع السياحية الشاطئية في جاكرتا، وتم تخصيص الأرض تقديراً من الجانب الإندونيسي لهذا العمل الإسلامي التاريخي، كما جرى في وقت سابق توقيع اتفاقية المشروع بالأحرف الأولى، تلت ذلك احتفالية وضع حجر الأساس.

وستشمل المعروضات كل مشاهد السيرة النبوية، والتي سيتم تقديمها بأحدث التقنيات، إضافة إلى توزيع أكثر من مئتي موسوعة ومؤلَّف عن السيرة النبوية أعدتها رابطة العالم الإسلامي خلال السنوات الثلاث الماضية، وذلك بلغات عدة، وتعتبر أكبر خدمة علمية متنوعة للسيرة النبوية.

وتُعَدُّ إندونيسيا المحطة الأولى في فروع متاحف ومعارض السيرة النبوية، والتي يقع مقرها الرئيس في المدينة المنورة.

وكانت الحكومة الإندونيسية سباقة لطلب استضافة فروع معارض ومتاحف السيرة النبوية والحضارة الإسلامية ضمن أكثر من ٢٤ دولة إسلامية طلبت ذلك في وقت سابق، هذا إضافة إلى التطلعات والآمال الكبيرة المعقودة على النجاح العالمي لهذا الفرع وذلك لاعتبارات كثيرة تتعلق بالجمهورية الإندونيسية، التي تُحسب كأكبر دولة إسلامية في عدد السكان وواحدة من أهم الوجهات السياحية والثقافية العالمية.

كما تجدر الإشارة إلى أن متاحف ومعارض السيرة النبوية انطلقت تجربتها الأولى في المدينة المنورة بمعرض رمضاني عام ١٤٤٠هـ تمت رعايته وافتتاحه من قبل صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة، وبحضور سمو نائبه صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن خالد الفيصل وكبار الشخصيات الإسلامية الذين أكدوا على أن هذه الانطلاقة من المدينة المنورة، والتي تأسس على إثرها المقر الرئيس للمعارض والمتاحف تعكس الاستحقاق الكبير من هذه البقعة المباركة التي تمثل باعتبارها مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم المرحلة الثانية والمهمة لانتشار الرسالة الإسلامية، التي جاءت رحمة للعالمين ومتممة لمكارم الأخلاق.

وأضافوا: "من هنا جاء الاستحقاق الكبير بأن تكون المملكة العربية السعودية رائدة العالم الإسلامي ومرجعيته الروحية، ومهوى أفئدة علماء ومفكري العالم الإسلامي والشعوب الإسلامية كافة، بوصفها حاضنة مقدساتهم ومَنْ تشرفت بخدمة الحرمين الشريفين وقضايا وشؤون الأمة الإسلامية".

هذا وستشهد متاحف ومعارض السيرة النبوية فعاليات دورية في عدد من الموضوعات ذات الصلة بقيم السيرة النبوية والحضارة الإسلامية، كما ستُشَكِّل وثيقة المدينة المنورة التي أمضاها النبي صلى الله عليه وسلم ووثيقة مكة المكرمة التي صادق عليها أكثر من ١٢٠٠ مفتٍ وعالم وأكثر من ٤٥٠٠ مفكر إسلامي محاورَ رئيسةً في تلك الفعاليات.

كما أكدت الفعاليات الإندونيسية على أن العالم الإسلامي لن ينسى للرابطة خدمتها للسيرة النبوية، وكذلك ما قدمته من جهود عالمية كبيرة جاءت في صالح سمعة الإسلام والمسلمين، مشيرين إلى أن هذا ملموس ومصدر فخر، مشددين على أن المقر الرئيس للرابطة في مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية يعزز من حجم ثقل الرابطة وتأثيرها وأهمية استشعارها لمسؤولياتها التي قامت بها على أكمل وجه، ويكفي هذا الصرح التاريخي الكبير الذي تم التوقيع على اتفاقية انطلاقته كأول فرع لمعارض ومتاحف السيرة النبوية والمتاحف الإسلامية، وكذلك الموسوعة الضخمة للسيرة النبوية، وهو ما يدل على مستوى العناية بسيرة حبيبنا المصطفى، صلى الله عليه وسلم.

- "الإسلام السياسي" أيديولوجيا متطرفة لا علاقة لها بقيم الشريعة الإسلامية التي شملت كافة شؤون الحياة بنظرة معتدلة ... (تعمل تلك الأيديولوجيا على تحقيق أهدافها السياسية باسم الدين)، ونشأت على إثرها أفكارُ التطرف والتطرف العنيف والإرهاب .
- تكونت أفكار الإسلام السياسي (التي تختزل الدين في أهداف سياسية حزبية) لدى جماعات انفصالية لاستهداف أمن واستقرار الدول باسم الدين.
- ترتكز أفكار الإسلام السياسي على نشر الأحقاد والكراهية والتدخل في شؤون الدول والتأثير على لُحْمَتِها الوطنية وتحريض العنف فيها من أجل تمرير أجندتها السياسية.
- تركز أفكار الإسلام السياسي على إيجاد حاضنات متطرفة تبسط سيطرتها السياسية باسم الدين "وعلى حساب قيمته".
- لا علاقة للدين الإسلامي بالإسلام السياسي الذي يُروّج له المتطرفون اليوم وتدعمهم في مشروعه جهات خارجية تستهدف وحدة واستقرار دولهم الوطنية، سواء داخل الدول الإسلامية أو خارجها.
- (الإسلام السياسي) مصطلح حديث يُقصد به تحريف دلالات ومقاصد النصوص الشرعية للوصول إلى أهداف ومكاسب حزبية متطرفة ... ونَظِيْرُهُ في تركيب المصطلح: "التعبيرُ بالتطرف الديني".
- تم تمرير العديد من مشاريع الإسلام السياسي في الدول المستهدفة تحت مظلة تدريب الأئمة، والتمويل الموجَّه.

الفعاليات الإندونيسية
تُعَبّر عن مشاعرها بعد إطلاق أكبر خدمة للسيرة النبوية في العصر الحديث
فرع لمقره الرئيس بالمدينة المنورة: التوقيع مع الجانب الإندونيسي برئاسة (نائب الرئيس) على اتفاقية "انطلاق" متاحف ومعارض السيرة النبوية والحضارة الإسلامية في جاكرتا.
الفعاليات الإندونيسية: معارض ومتاحف السيرة النبوية أكبر خدمة إسلامية قدمتها (رابطة العالم الإسلامي) للإسلام والمسلمين.
الفعاليات الإندونيسية: معارض ومتاحف السيرة النبوية تُمَثّل خدمة إسلامية لاتنسى قدمتها رابطة العالم الإسلامي ،، وهي أوضح وأشمل تعريف بالسيرة العطرة في العصر الحديث.
الفعاليات الإندونيسية: لن ينسى العالم الإسلامي ما قدمته رابطة العالم الإسلامي من إطلاق خدمة سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.
الفعاليات الإندونيسية: تم منح الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ د. محمد العيسى الدكتوراة الفخرية من أعرق الجامعات الإندونيسية الحكومية؛ تقديراً لدوره الكبير في خدمة سمعة الإسلام والمسلمين.

السيرة النبوية
وبناء المجتمعات الحضارية

بقلم د. أحمد عبد القيوم عبد رب النبي

السيرة النبوية الشريفة هي بلاغ الله الشامل لأهل الأرض، وميثاقه المنزل الذي يرسم المنهاج الصحيح لبناء المجتمعات، وتنظيم العلاقات، وأداء الحقوق والواجبات، وهي الأنموذج الأرقى والمعيار الأنقى للوصول إلى تحقيق مهمة الاستخلاف الحضاري البشري، وإقامة المجتمعات المسالمة والحياة الإنسانية الكريمة على القيم الفاضلة والأخلاق العالية.

هذا فضلا عن المنزلة العظيمة التي تحظى بها السيرة الغرّاء في نفوس المسلمين على مر العصور والأزمان، حيث تبعث فيهم روح الشوق والحب والحنان، وتحرك فيهم مكامن الاتعاظ والاعتبار بدروسها وأحوالها ووقائعها، كيف لا؟ وهي أعظم العلوم وأشرفها لتضمنها سيرة أكرم الخَلق على الله تعالى وصفوته من البشر، وسيد أنبيائه ورسله الكرام • سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم- الذي وصفه ربه جل وعلا في محكم تنزيله فقال: "وإنك لعلى خُلق عظيم"، وأثنى على رسالته العالية الخاتمة بقوله: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"، وامتنّ ببعثته فينا معلّما ومزكيا، فقال: "لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة"، ودعا الأمّة قاطبة إلى سلوك نهجه القويم، والتأسي بهديه الكريم، فقال سبحانه: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا"، وقال تعالى: "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا".

وهذا التأسي يعمّ كل شأن من شؤون حياته الشريفة المباركة ما ليس من خصوصياته، فيدخل في ذلك أخلاقه وأحواله وعوائده وشمائله الكريمة، وتعاملاته مع الخاصة والعامة، المسلم وغير المسلم، على اختلاف الأحوال والأزمان، و تقلبات الظروف والأيام، من الصحة والسقم، واليسر والعسر، والسلم والحرب، والمنشط والمكره، والحضر والسفر، فقد كان صلى الله عليه وسلم بالجميع رؤوفًا رحيمًا، حريصا على هدايتهم للحق والرشاد، حكيما في معالجة مشكلاتهم وقضاياهم المتعددة: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم

حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم"، و"ما خُير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما".

ومن هنا كان التأسي والامتثال للهدي النبوي طريقا لأن يلمس المرء جمال الإسلام، ويجد في نفسه حلاوة الإيمان، ويعرف قدر هذا النبي الذي حاز المفاخر العظام، فيستنير قلبه ويزداد الإيمان، ويسعد في آخرته - إن شاء الله - بدخول الجنة والفوز بالرضوان، كما قال الله تعالى: "ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما".

يقول الإمام ابن حزم: "من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها واستحقاق الفضائل بأسرها؛ فليقتد بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليستعمل أخلاقه، وسيره ما أمكنه" (الأخلاق والسير).

وبناءً عليه؛ فإن حاجة الإنسانية تشتد إلى سيرة خير الأنام - عليه الصلاة والسلام- في هذه الظرفية التي يعيشها العالم أكثر من أي وقت مضى؛ لأنها سيرة شخصية عظيمة كاملة جامعة لكل صفات الكمال ومحاسن الخصال، سيرة ربانية خالدة تستوعب الأمم كلها، وتشمل ميادين الحياة جميعها، سيرة عطرة خاضعة لمنطق الوحي الإلهي، بلغت من السمو غاية ما يستطيع إنسان أن يبلغه، لتكون دروسها المباركة تزكية لنفس الإنسان وتحويل وجهته نحو البناء والعمران، وصياغة مجتمعات حضارية صالحة ، محافظة على القيم والأخلاق، متطلعة نحو مزيد من المعرفة والتطور والإبداع.

إن السيرة النبوية تمثّل الصورة الحقيقية والفعلية لهذا الدين القويم، باعتبارها الوحي العملي في واقع الحياة، كما وصفته السيدة عائشة - رضي الله عنها- بقولها: "كان خُلقه القرآن"، فهي دستور الحياة وديوان الحضارة الإنسانية الراقية، وهي المتضمنة لأعظم مرحلة تاريخية مرت بها البشرية، وأفضل تجربة لبناء أمة هي خير أمة أخرجت للناس، فيها التخطيط لبناء دولة هي أعظم دولة أنشئت في تاريخ الإنسانية، فيها الانطلاقة لبناء العمران البشري كأعظم عمران في سائر العصور السابقة واللاحقة، فيها الممارسة العملية لبناء مجتمع مدني هو أعظم المجتمعات الإنسانية من حيث الأخلاق الفاضلة والمبادئ السامية، تحقيقا لقوله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

وما أجمل ما عبّر به الإمام ابن القيم عن مكانة السيرة النبوية وأهميتها في تحقيق سعادة الدارين حين قال: "ومن ها هنا تعلم اضطرار العباد فوقَ كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيلَ إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا مِن جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطَّيِّب من الأعمال والأقوال والأخلاق، ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزانُ الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم تُوزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظمُ مِن ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فُرِضَت، فضرورةُ العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير.. وإذا كانت سعادةُ العبد في الدارين معلقةً بهدي النبي صَلى الله عليه وسلّم، فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه مَا يَخْرُجُ به عن الجاهلين به، ويدخل به في عِداد أتباعه وشِيعته وحِزبه، والناس

في هذا بين مستقِل، ومستكثِر، ومحروم، والفضلُ بيد الله يُؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم"، (زاد المعاد).

كما تتجلى أهمية السيرة النبوية في بناء المجتمعات الحضارية وصياغة العلاقات الإنسانية وفق أرفع القيم الأخلاقية، وأنبل المعاني الإنسانية، فقد كان صلى الله عليه وسلم قرآنا يمشي بين الناس، جمع في حياته وسلوكياته خلاصة الفضائل الإنسانية، وقمة الآداب الإسلامية في التعامل مع الآخر أيا كان، تعامل مع الجميع كأجمل أنموذج مرّ على الكون، فعلّم الإنسانية الأدب الرفيع، ولو كان فظا غليظ القلب لانفض عنه من حوله، ومنح البشرية كل ما أنت واجد من شُعب الخُلق الحسن والحكم النافعة، في مختلف الظروف والمراحل، ودون تمييز أو تفضيل لأحد على آخر، شهد بذلك الموافق والمخالف، والقاصي والداني، فكان صلى الله عليه وسلم معلّما للخير ما رأى الناس معلّما مثله بشهادة أصحابه الكرام، وكان صادقا أمينا ما جرّب عليه أحد كذبا بشهادة أصحابه وحتى أعدائه، صنع الوئام الاجتماعي في مجتمعه ودولته على مثال لا سابق له، وأرسى للبشرية دروسا في السلم والحرب لا مثيل لها، يؤكد ذلك ما تميزت به رسالته الخالدة من الدعوة للسلام والأمان: "يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة"، وإخراجها للناس من ظلمات البغي والفساد إلى نور العدل والإحسان: "كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور"، والشواهد على ذلك في متناول العقول السليمة والقلوب الزكية ينهلون منها بأيسر اطلاع ومعرفة.

ويحسن هنا أن نستشهد بما صرحت بها أمّ المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها عندما وصفته صلى الله عليه وسلم بقولها: "إنك لتَصل الرحم،

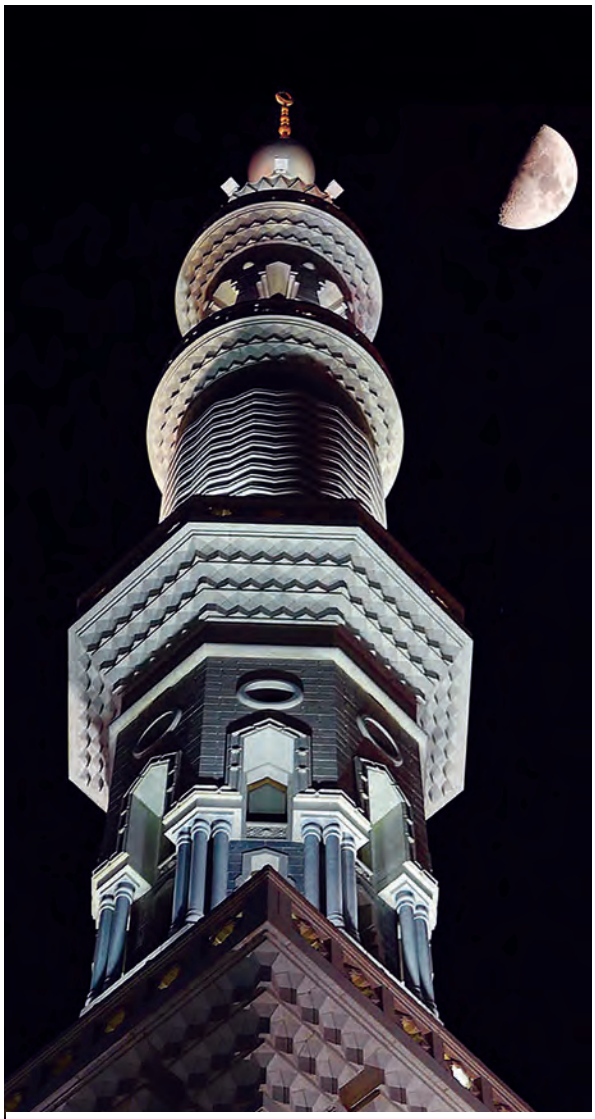

وتَصدق الحديث، وتَحمل الكلّ، وتَكسب المعدوم، وتَقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق".(البخاري)، فلم تُشر رضي الله عنها إلى تعبّده صلى الله عليه وسلم واعتكافه وتفكره، بل أشادت بمعاملاته مع البشر وعلاقاته مع الناس، فهي المحك الحقيقي لتقييم الإنسان ومصداقيته ونيل الثقة به.

حقا، إنها سيرة نبوية مباركة تمثل تجسيدًا متكاملاً للمعالم الإنسانية النبيلة ومصدرا جامعا للقيم

الأخلاقية الفاضلة بأرقى صورها وأزكى معانيها، وهي أنموذج مشرق للسلوك الحضاري، وصورة ناصعة لرسالة الإسلام العالمية ومبادئها السمحة التي جاءت بالخير والرحمة للعالمين.

كما أنها بشمائلها وأحداثها ووقائعها، تضع بين يدي قارئها أعظم صورة عرفتها الإنسانية، وأكمل هدي وخُلق في حياة البشرية، وتقودنا إلى صناعة مستقبلنا العلمي والعملي على أسس راسخة متينة من قواعد الشرع الحكيم، وتفيدنا في تقديم العلاج الشامل والحل الأمثل لكافة الصعوبات التي تواجه أمتنا المسلمة، لتكون إن شاء الله تعالى في مأمن من التشتت والفرقة والنزاع، محافظة على كيانها العام، وساعية نحو تحقيق الأمن والطمأنينة والوئام، وداعية إلى ترسيخ قيم الرحمة والمحبة والسلام.

إن الواجب على المسلمين اليوم في ظل الظروف والتحديات التي تحيط بهم: الارتباط التام بسيرة نبيهم الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام - علما وفهما وسلوكا- مع إدراك ما تحويها من معان نبيلة ودروس عظيمة وعبر مفيدة، لإقامة مجتمع إنساني في أحسن تقويم، على أساس من التعاون والتراحم والمحبة، امتثالا لقوله تعالى: "وتعاونوا على البر والتقوى"، وعليهم بذل أقصى جهدهم الفكري لاستلهام قيم الوسطية والاعتدال من هذه السيرة النبوية المباركة، والاستفادة منها في بناء الفهم الصحيح للنصوص والوقائع التاريخية، وتصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام وأحكامه، والتصدي لتيارات الغلو والتطرف.

كما أن الشعور الإيماني يتطلب من المسلمين جميعًا: تنسيق الجهود وتوحيد المواقف والرؤى في نصرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ونشر سيرته العطرة المتضمنة لمعاني الرحمة والإنسانية، والتصدي لأي إساءة أو إهانة في حقه تحت أي مسمى كانت، مع التأكيد التام على أن المساس بالمقدسات والرموز الدينية هي نزعة استفزازية متطرفة، تصادم الحريات، وتعارض المصالح، وتبث الشحناء، وتشعل الكراهية، وتضر بوئام المجتمعات والروابط الإنسانية، لاسيما المساس بمقام خاتم أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام، الذي تولى الله كفايته ونصرته وحفظ مكانته بقوله: "إلا تنصروه فقد نصره الله"، وأكده حين قال له: "والله يعصمك من الناس"، "إن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين"، "إنا كفيناك المستهزئين"، "إن شانئك هو الأبتر"، وجعل له في قلوب مليار وثمانمائة مليون مسلم محبة عظيمة تفوق محبة النفس والأهل والمال، مع ما له من ثناء واحترام وتقدير في قلوب الملايين من أسوياء العالم وعقلائه من مختلف الملل والنحل.

وهنا تأتي الإشادة والتقدير لرابطة العالم الإسلامي وما بذلته - عبر تاريخها الحافل- من جهد عظيم في توعية الشعوب المسلمة للاعتزاز بدينهم الإسلامي الحنيف، والحفاظ على هويتهم الدينية في بعدها الوسطي واعتدالها المنهجي، وهي اليوم في ظل انطلاقتها الجديدة بقيادة معالي أمينها العام الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، قد شرعت في معالجة العديد من الملفات المهمة التي تتعلق بالشعوب المسلمة وحفظ حقوقهم وصون كرامتهم وفق الهدي الكريم من شرعنا الحكيم وسيرة نبينا العظيم، وجعلت في أولويات برامجها ومبادراتها الحالية: ربط أبناء الأمة بمصدر تشريعها الرباني الحكيم من الكتاب والسنة، والعمل الجاد على تعزيز الوعي واعتدال الفكر لدى الأجيال القادمة وفق هدي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام التي تتحلى بالجمال والكمال، وتنأى عن الإفراط والتفريط.

وما أحسن ما قاله معالي الشيخ محمد العيسى في افتتاح مؤتمر موريتانيا الدولي (ربيع الأول ١٤٣٩هـ): "إن رسالة الإسلام تمثلت في قوله وفعله صلى الله عليه وسلم مترجمة سيرته العطرة التي نقتبس من نورها لتكون ضياء لنا في حياتنا ونبلغ بها بإذن الله عز وجل مرادنا يوم معادنا عند ربنا سبحانه وتعالى، هذه السيرة العطرة تمثل قمة في الوسطية والاعتدال، وقمة في العدل والإنصاف، فقد كان صلى الله عليه وسلم أخلاقًا كريمة تمشي على الأرض، ونموذجًا حيًا لقيم الوسطية وقيم الحكمة وقيم التسامح وقيم التعايش، وكانت سيرته العطرة نبراسًا لكل مسلم وحجة لبيناتها وزبرها على كل جاهل أو معاند أو مكابر أو مغرض، كما حفلت سيرته بالكثير من الوقائع والأحداث، وهي سيرة التوازن، سيرة الأولويات، سيرة الموازنات، سيرة الترجيح بين المصالح والمفاسد، لتنتهي إلى حكمة بالغة تليق بوحي السماء، وإن رابطة العالم الإسلامي قامت في هذا بما يجب عليها وفق وسعها ومقدورها، ولاتزال تعمل في ذلك جاهدة لترسي المفاهيم الصحيحة، وتبين حقيقة الإسلام، وتترجم بالوقائع والبراهين- ولاسيما من السيرة النبوية الشريفة المطهرة - كيف كان الإسلام وسطيا معتدلا، تترجم ذلك أخلاق نبيه صلى الله عليه وسلم."

ولا ينكر ما لهذه المنظمة العالمية الرائدة من جهود مشكورة في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه، وذلك من خلال مؤتمراتها وملتقياتها الدولية ومنابرها الفكرية والإعلامية وما تقوم عبرها من مناشدة مستمرة للمنظمات والهيئات الحقوقية العالمية بإصدار قرار دولي حازم وملزم، يمنع الإساءة أو الإهانة إلى رسالات الله السماوية جميعها، ورسالة الإسلام الخاتمة، ويمنع التطاول على رسل الله أجمعين، وعلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، ويجرم كل ما يسيء إلى الرسل والرسالات والمقدسات، حماية للمجتمعات البشرية من الصراع والاحتراب الذي يهدد الأمن والسلام العالمي.

وهي تسعى في الوقت نفسه بجميع قدراتها وإمكاناتها إلى تنسيق الجهود وطرح المبادرات الفاعلة لتكوين فريق عمل متخصص من رجال الشريعة والقانون لمتابعة ما يحدث من إساءة للإسلام ونبيه الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، وتقديم محرّضيها إلى المحاكم والمنظمات الدولية المعنية بحماية الحقوق الإنسانية والدينية.

وختاماً، نهيب بالعلماء والمفكرين أن يوظفوا طاقاتهم العلمية والثقافية في خدمة السيرة النبوية، ومدارسة أحداثها العطرة، ونشر تعاليمها السمحة وقيمها الخالدة، لتكون سلوكاً عملياً، تتعلمها الأجيال القادمة تطبيقا في تعاملاتهم، واستقامة في أفكارهم وأفهامهم، ويكونوا لبنة صالحة في تنمية أوطانهم، وبناء مجتمعاتهم، بما يحقق المزيد من الأمن والمحبة والرخاء، ويقوي أواصر التراحم والتآخي والتعايش مع الجميع.

كما نناشد الهيئات والمنظمات الدولية - وفي مقدمتها رابطة العالم الإسلامي- أن تسخر إمكانياتها المادية والبشرية والتقنية في وضع مزيد من البرامج والمبادرات والآليات الكفيلة بنصرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم والذب عن جنابه الشريف بما تقتضيه سماحة الإسلام وعدله ورحمته الواسعة، وبما يساعد على تحقيق السلام والوئام بين أبناء البشرية جميعا على أسس من العدالة والكرامة، والتفاهم السوي، والاحترام المتبادل، وصلى الله على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم.

مؤتمر

"السيرة النبوية الدولي"

بمشاركة رابطة العالم الإسلامي

بتاريخ
07 ربيع الأول 1442هـ
24 أكتوبر 2020م

المكان
العاصمة الموريتانية
نواكشوط

بحضور
وفود من دول عربية
وإفريقية

دعا المؤتمر إلى:

01
إستراتيجية كاملة لمواجهة حمـــلات الإســـاءة للجناب النبوي الشريف

02
معاهدة دولية توقعُ على مستوى الأمم المتحدة، تلزم كل الدول بأن حرية التعبير لا تعني المساس بالمقدسات

03
إصدار قـــرار دولـــي يمنع الإساءة لأتباعِ الأديان ومن ذلك رموزها المقدسة

mwlorg | www.themwl.org

رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE

الإسلام لا يعيش أزمة

بل يتعرض إلى التشويه والإساءة

بقلم د. المحجوب بنسعيد
خبير برامج الاتصال والحوار الثقافي
المغرب

أثار خطاب الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الذي ألقاه يوم ٢ أكتوبر الماضي بضواحي باريس نقاشاً واسعًا وردود أفعال متباينة بين التأييد والرفض. موقف رابطة العالم الإسلامي كان حكيماً ومنسجماً مع أهدافها ورؤيتها الحضارية الإسلامية والإنسانية المستندة إلى قيم الوسطية والاعتدال، حيث صرح معالي الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى الأمين العام للرابطة، رئيس هيئة العلماء المسلمين في إحدى حلقات البرنامج الفكري والديني (في الآفاق) الذي تبثه قناة MBC الفضائية قائلاً: "إن الإسلام دين قوي، وقوته لا تتوقف على تزكية أحد، كما أن وجوده كرسالة ربانية لا تتزعزع أبدًا لا بقول ولا بغيره، وأن الله تعالى بنص القرآن الكريم يأمرنا بالإعراض عن أي سجالات لا تفيد إلا في التصعيد السلبي".

القراءة الهادئة والمتأنية لمضامين خطاب الرئيس الفرنسي تقتضي استحضار السياق العام المتعلق بالظروف التي تعرفها فرنسا والعالم الإسلامي والعلاقات الدولية سواءً في اللحظة الراهنة أو منذ بداية الألفية الثالثة. وفي هذا الإطار نشير إلى عدد من المعطيات التي تبدو لنا ذات تأثير مباشر أو غير مباشر على التوجهات والرؤى والمقترحات والقرارات المضمنة في تصريحات ماكرون. ومن هذه المعطيات الآنية نذكر ما يلي:

- حادث اعتداء شاب باكستاني على صحفيين في الشارع العام في باريس، وما أثاره من نقاش وتنديد خاصة وأنه تزامن مع أطوار محاكمة مرتكبي الهجوم الانتحاري على مقر جريدة شارلي إيبدو عام ٢٠١٥، إضافة إلى اتهام الرئيس الفرنسي ماكرون من طرف أحزاب اليمين واليمين المتطرف بالتراخي، واليسار الذي يندد بوصم المسلمين لأسباب انتخابية.

- صدور تقرير لمجلس الشيوخ الفرنسي في شهر يوليو الماضي يؤكد أن "التطرف الإسلامي حقيقة" في عدد متزايد من المناطق في فرنسا، وأن "مؤيدي الإسلام السياسي يسعون حاليًا إلى السيطرة على الإسلام في فرنسا" من أجل "إنشاء الخلافة"، ويغذون في بعض المدن "نزعة انفصالية" خطيرة.

- إعلان وزير الداخلية الفرنسي يوم ٢٧ سبتمبر

الماضي بمناسبة عيد الغفران اليهودي، حيث صرح بأن بلاده "في حرب ضد الإرهاب الإسلامي"، وكشف بأنه تم إحباط "٣٢ هجوما" في فرنسا على مدى السنوات الثلاث الماضية، موضحا أن ذلك "يساوي تقريبًا هجومًا كل شهر".

– احتدام الجدل في السنوات الأخيرة حول دور بعض الأئمة التابعين للمجلس الفرنسي للديانة الإسلامية في نشر الأفكار المتطرفة في فرنسا، ما دفع الدولة إلى مراجعة أساليب اعتماد الأئمة الذين كان يتم جلبهم من دول أخرى بينها المغرب وتونس والجزائر وتركيا .وقال الرئيس الفرنسي في تصريح إعلامي سابق: "لن أسمح لأي دولة مهما كانت بأن تغذي الشقاق" لا يمكن أن تجد القانون التركي مطبقاً على تراب فرنسي. هذا لا يمكن أن يحدث".

– شروع السلطات الفرنسية في إعادة ترتيب أوراقها في ما يتعلق بالهيئات الممثلة للمسلمين على ترابها، إذ قامت عام ٢٠١٦ بإنشاء (مؤسسة إسلام فرنسا) من أجل تسيير موضوع تمويل دور العبادة وتسيير الإسلام في فرنسا بعد مشاورات مع مثقفين وسياسيين وفاعلين اجتماعيين فرنسيين، وهو ما يهدف إلى التصدي لكل محاولات نشر السلوكيات والأفكار المتشددة.

– تنظيم (المؤتمر الدولي للسلام والتضامن) عام ٢٠١٨م بالتعاون بين مؤسسة إسلام فرنسا ورابطة العالم الإسلامي. وجاء تنظيم هذا المؤتمر في سياق التصدي لكل الأفكار المتشددة التي تبتعد عن الإسلام المعتدل وتدعو إلى التطرف في تطبيق تعاليم الدين. وبهذه المناسبة، جرى توقيع اتفاقية باريس للعائلة الإبراهيمية التي تدعو إلى توطيد العلاقات بين أتباع الأديان، والرفع من مستوى

التفاهم المتبادل باستقلال تام عن أي توجهات أو أهداف تخرج عن إطار قيم الاتفاقية. كما تنص الاتفاقية على الالتزام التام بمبدأ الحريات والحقوق المشروعة والحرص على تعليم الشباب والإنصات لمشاكلهم والسعي لحلها، بالإضافة إلى مواجهة التحديات الأخلاقية التي يمر بها الإنسان في العصر الراهن وتعرقل محاولته للإسهام في خدمة مجتمعه وتنمية وطنه. وفي افتتاح هذا المؤتمر أعلن الشيخ محمد بن عبد الكريم العيسى، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي تأييد الرابطة لمضامين خطاب الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون حول ما يسمى بالإسلام السياسي الذي يوظف الدين لمجرد تحقيق مطامع سياسية ساعياً للانفصال عن المجتمعات ومهدداً لاستقرارها.

ومن أجل فهم عميق وشامل لما جاء في خطاب الرئيس الفرنسي، سواءً من حيث دواعيه وأبعاده أو مراميه، من المهم استحضار المعطيات العامة التالية:

تنظيم المواطنين والمهاجرين من أصول مسلمة من أجل إدماجهم

بناءً على تقديرات متفق عليها تقريبًا؛ يناهز عدد أفراد الأقليات والجاليات المسلمة في فرنسا ستة ملايين نسمة، وبالتالي فإن الإسلام يعد الديانة الثانية في فرنسا بعد المسيحية.

لقد عمدت بعض الدوائر الفرنسية إلى اتخاذ تدابير أكثر صرامة في التعامل مع المسلمين، ومن ذلك شروع السلطات الفرنسية في عمليات تنظيم الوجود الإسلامي في عام ١٩٨٩ بمبادرة من (بيير جوكس) وزير الداخلية في الحكومة الاشتراكية آنذاك الذي سعى إلى تأسيس (مجلس التفكير حول الإسلام في فرنسا). وقام وزير الداخلية السابق شارك باسكوا بإجراءات في هذا الصدد، ففي عام ١٩٩٣ سعى إلى تأسيس المجلس التمثيلي لمسلمي فرنسا برئاسة دليل أبوبكر الجزائري، عميد مسجد باريس آنذاك. بعد ذلك حاول وزير الداخلية (جان بيار شوفمان) في حكومة ليونيل جوسبان خلال الفترة ما بين ١٩٩٧ و٢٠٠٠ نهج أسلوب جديد في إنشاء مجلس يمثل مسلمي فرنسا وينظم شؤونهم. وأخذًا بعين الاعتبار العقبات التي أفشلت مساعي سابقيه من وزارة الداخلية، عمد إلى إجراء مشاورات تقضي إلى إطلاق مبادرة جديدة من القيادات المسلمة في فرنسا وحدهم بمساعدة من السلطات الفرنسية. وتبعًا لذلك تم الاتفاق على إنشاء (المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية) الذي انتهت تفاصيل تشكيله نهاية عام ٢٠٠٢، وأجريت الانتخابات التأسيسية للمجلس في أبريل ٢٠٠٣ بإشراف وزير الداخلية آنذاك (نيكولا ساركوزي).

والواقع أن اهتمام وزارة الداخلية الفرنسية بـ (تنظيم الإسلام) في فرنسا يعود إلى أن المسلمين الفرنسيين أصبحوا رقمًا حقيقيًا ووازناً في المعادلة السياسية الفرنسية، فقد أشارت توقعات ودراسات إلى أنهم سيتضاعفون ثلاث مرات خلال العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين. ولذلك ومع دنو موعد الاستحقاقات الانتخابية في فرنسا والانتخابات الرئاسية على وجه التحديد يلجأ المرشحون في هذه الانتخابات إلى مخاطبة ود هؤلاء المسلمين بل ويبعثون موفدين رسميين إلى دول المغرب العربي مثلاً لتوجيه رعاياها في فرنسا لدعم هذا الحزب أو ذاك.

من «الإسلام الفرنسي» إلى «إسلام الأنوار»

هناك أسئلة عديدة طرحت بخصوص عملية تنظيم الوجود الإسلامي في فرنسا كان من أهمها:

هل المقصود من هـذه العملية قطع الطريق على الإسلام السياسـي؟ هل للموضوع علاقة بمخاض ولادة ما يسمى "الإسـلام الفرنسي" أو "الإسلام الفرانكفونـي"؟ وهل يتعلق الأمر بإعادة تشـكيل العلاقة بين الدولة الفرنسـية والإسلام نحو دمج حقيقي للمسلمين باعتبارهم مكونًا ثقافيًا جديدًا في فرنسـا إلى جانب ثقافتهـا العلمانية وتراثها المسيحي؟ هل تزامن "تنظيم الإسلام" في فرنسا مع فترة انتقالية تعترف بالإسـلام الفرنسي وتنزع عنه لباس الدين الأجنبي الذي حلَّ منذ الخمسينيات مـن القرن العشـرين مع موجات الهجـرة الأولى للعمال من دول المغرب العربي وشـمال إفريقيا؟ أم يتعلق الأمر بعملية تغريب للإسلام من خلال إنشاء "كنسية إسـلامية" يقصد بها نزع الخصوصيات الاجتماعية والثقافية والسياسـية عن الإسـلام بالشكل الذي ينسجم مع الرؤية الفرنسية للديانة باعتبارها شـأناً فرديًـا في إطار الرؤيـة الوضعية للكون.

إن أول من أطلق مصطلح "الإسلام الفرنسي" هو (نيكولا سـاركوزي) وزير الداخلية الفرنسي السابق خلال حضوره افتتاح المؤتمر العشرين لاتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسـا المنعقد بتاريخ ١٩ أبريل ٢٠٠٣. وقد كان هذا الحضور تاريخيًا بحضور أول وزير داخلية في فرنسا لتجمع كبير لمسـلمي فرنسا، حيث ورد في خطابه بهذه المناسبة قولته الشهيرة: "لا نريد الإسلام في فرنسا ولكن نريده إسلاماً فرنسيًا". كما أنه أثار ردود أفعال الطبقة السياسـية الفرنسية، ومن أعنفها موقف زعيم الجبهة الوطنية اليمينية المتطرفة (جون ماري لوبان) الذي اعتبر ذلك الحضور "زيارة لعش الدبابير".

ويجمـع كثيـر من المراقبـين والمهتمين بالشـأن الإسـلامي في فرنسـا على أن معالجـة الحكومة الفرنسـية لقضيـة الوجـود الإسـلامي ترتبط بمعطيـات واقعية ومحكومة أساسًـا بإرادة تأطير الدين الإسـلامي في الديـار الفرنسـية باعتباره أضحـى يحتـل المرتبة الثانيـة من حيـث الأتباع بعد الكاثوليكيـة، متجاوزًا بذلك البروتسـتانتية واليهودية. لذلك كان لا بد للسـلطات الفرنسـية أن تنظر فـي كيفية دمج الإسـلام في الجمهورية انطلاقًا من توجهين أساسـيين هما: التأكيد على أن أي "إسـلام فرنسي" يجب أن لا يتعارض مع قيم الجمهوريـة بما يعنيه ذلك من احترام قيم المسـاواة المطلقة بين الرجـل والمرأة وقضية حريـة الاختيار، ونفض كل تعبير "الإسـلام العربي" عن "الإسلام الفرنسـي"، فلا مكان في الإسلام الفرنسي للحديث عن تطبيق الشـريعة بما يعنيـه ذلك من بحث في مدى إمكانية تطبيق الحدود.

وحسب عدد كبير من المثقفين الفرنسيين والمختصين في "الإسـلام الفرنسـي" فإن مقولة "الإسـلام الفرنسـي" ليسـت إلا محاولة "فرنسة" الإسلام وعلمنته بالشـكل الذي ينزع عنـه بعده الجماعي وإدراجه ضمن الفهم الغربي للديانة باعتبارها شأناً فرديًا.

والواقع أن جزءاً من تخوفات السـلطات الفرنسية إزاء تأثيرات "الإسـلام السياسـي" علـى الجاليات والأقليات المسـلمة في فرنسا نابع أساسًا من تأثير الحركات الإسـلامية في أفـراد هذه الجاليـات. وإذا كان نموذج "الإسـلام الفرنسـي" الذي تريد الحكومة الفرنسية إدماجه هو ذلك الإسـلام الذي ينأى عن تأثيرات الإسلام خارج دولة فرنسا، فإن الوقائع تؤكد بأن الحكومة الفرنسـية تريد "إسـلامًا فرنسـيًا" مستقلاً ومخالفاً للإسلام السياسي، وبالتالي فهو "إسلام لا يحمل مشـروعًا سياسيًا ولا اجتماعيًا"، لأنه من المفترض أن الجمهورية ومبادئها هي المشروع الذي يحتوي كل المشـاريع الأخـرى وكل الثقافات والديانات.

الإساءة للإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الفرنسية

مع مطلع الألفية الثالثة، أصبحت الإساءة إلى الإسلام والمسلمين تتم في صور جديدة تخرق قواعد القانون الدولي المنظمة لحقوق الإنسان وللإعلام، فتطورت بفعل ذلك أساليب الخرق وآلياته، بحيث انتقلت الإساءة من بطون الكتب، والموسوعات، ودوائر المعارف، والدراسات الاستشراقية، إلى الأفلام والبرامج الإذاعية والتلفازية والشبكة العنكبوتية. وبواسطة هذه الوسائل تزايدت الخروقات القانونية في الإعلام الفرنسي، وعملت على تشويه صورة الإسلام والمسلمين في أوساط النخب الفرنسية، بل وعلى الصعيد العالمي، بما في ذلك الأوساط الأكاديمية والثقافية. وقد شكل هذا النشر وهذه الإساءة خرقاً متعمداً لقواعد القانون الدولي، وضرباً في الصميم لمضامين وثائق الشرعية الدولية لحقوق الإنسان المؤكدة على حرية الإعلام، وحرية التعبير، والمقيدة لها حينما يتعلق الأمر بالإساءة إلى الأديان، تحت بند منع وتحريم الدعوة إلى الكراهية والعنصرية والتمييز الديني، والدعوة إلى التسامح.

ولقد عملت بعض وسائل الإعلام الفرنسية على إذكاء ظاهرة الإسلاموفوبيا في علاقتها بالإساءة للدين الإسلامي ورموزه ومقدساته بما نشرته وما زالت تنشره من صور نمطية حول المسلمين والعرب، وحول الإسلام الذي تنعته بدين الإرهاب. لذلك بدأت الدعوات تتصاعد من داخل الأمم المتحدة، في الجمعية العامة وفي مجلس حقوق الإنسان، من أجل وضع قانون دولي ملزم لردع ولمنع انتشار هذه الظاهرة، ينسجم مع مقتضيات احترام الأديان. وقد تحقق ذلك حين صادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١١ أبريل ٢٠١١ على القرار رقم ٢٤/٦٥ الداعي إلى)مناهضة تشويه الأديان(، حيث أعربت الجمعية العامة للأمم المتحدة عن استيائها من استخدام وسائل الإعلام المطبوعة والسمعية البصرية والإلكترونية في التحريض على أعمال العنف وكراهية الأجانب، وما يتصل بذلك من تعصب، وتمييز ضد أي دين، ومن استهداف الكتب المقدسة، وأماكن العبادات، والرموز الدينية لجميع الأديان وانتهاك حرماتها.

نستخلص مما سبق عرضه أن الإسلام لا يعيش أزمة بل يعاني من إساءة ثلاثية الأبعاد هي:

- إساءة من الجماعات الإرهابية التي تدعي الانتماء إليه والدفاع عنه من خلال تأويله تأويلاً خاطئاً لخدمة أجندات ثقافية وسياسية.

- إساءة من الأحزاب اليمينية المتطرفة في الدول الغربية التي ظلت تخيف الرأي العام الدولي من الإسلام والمسلمين وتنشر خطاب الكراهية والتمييز العنصري لخدمة أهداف انتخابية واقتصادية وسياسية.

- إساءة ممن سعوا إلى ترويج مضامين إعلامية مسيئة للإسلام ورموزه المقدسة من الإعلاميين بدعوى حرية التعبير والرأي دون مراعاة لأخلاقيات المهنة واحترام مبادئ حقوق الإنسان والقانون الدولي للإعلام.

لذلك نعتبر أن القول بأن الإسلام يعيش أزمة في كل بلدان العالم يتضمن مبالغة ويتسم بالتعميم وسوء الفهم. ليست هناك أزمة في الإسلام بالمعنى الإيماني، والدليل على ذلك الارتفاع المتواصل لعدد المسلمين القدامى والجدد. قد تكون هناك أزمة في تأويل مصادر التشريع الإسلامي أفضت إلى ظهور الطائفية والتطرف والغلو الديني، والتغلب عليها ممكن من خلال تعزيز الإسلام الوسطي المعتدل، ومحاربة التطرف الفكري والتعصب العقدي، وتربية النشء على قيم الحوار والتسامح والعيش المشترك.

رابطة العالم الإسلامي
قوة التأثير والتفاعل:
ثقل الحضور في أقوى منصات التأثير الشعبي والأممي.
مشاركة مباشرة في أهم القضايا ذات البعد العالمي.
تنظيم الشراكات والجهود العالمية لمواجهة العنصرية والكراهية والتهميش.
تلقي الدعوات والاستشارات وطلب الوساطات في أحداث مهمة وحاسمة.
استجابة سريعة خلال الأزمات الدولية والإنسانية ومهددات المجتمعات.
ثقة بمبادراتها المتنوعة والفعالة في بناء الصداقة بين الأمم والشعوب.
تقدير حكومي وأهلي وشعبي (عالمي) لمبادراتها ومهامها في ترسيخ السلام والتعايش.

عبد الصمد اليزيدي الأمين العام للمجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا:

وثيقة مكة المكرمة جاءت لتذكر الإنسانية جمعاء بقيم المحبة والرحمة والبناء

حوار : توفيق محمد نصرالله

ضيفنا هو فضيلة الأستاذ عبدالصمد اليزيدي، الأمين العام للمجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا، الذي أبدى سعادته وشكره لدور رابطة العالم الإسلامي الكبير في نشر الوسطية والاعتدال والتسامح بين الأديان بقيادة معالي الشيخ الدكتور محمد عبدالكريم العيسى.

وتم خلال هذا الحوار مناقشة دور المجلس الأعلى للمسلمين في تمثيل المسلمين لدى الدولة ودمجهم في المجتمع وتبني قضاياهم، وأبرز القضايا التي تمت مناقشتها ما يتعلق بالحوار بين أتباع الأديان في ألمانيا باعتبار أن المجلس الأعلى للمسلمين يتولى هذا الملف، ودور الإمام في المجتمع متعدد الثقافات في ضوء الحرية الدينية في المجتمع الألماني، وكيفية مساهمة المسلمين في دول الأقليات في رخاء وأمن واستقرار بلدانهم التي يعيشون فيها، ومساهمتهم في نشر قيم التسامح بين الأديان والثقافات، وكيفية تعزيز قيم الوسطية والاعتدال في المجتمعات المسلمة وخاصة بين الشباب، كما امتد الحوار للحديث عن المبادرات التي تقوم بها رابطة العالم الإسلامي بقيادة معالي الأمين العام للرابطة؛ لبناء جسور التواصل والتعايش والاحترام بين أتباع الأديان والثقافات المختلفة، ومكافحة الغلو والتطرف بجميع أنواعه وألوانه.

بداية كأمين عام للمجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا ما دور المجلس في تمثيل المسلمين لدى الدولة ودمجهم في المجتمع وتبني قضاياهم والدفاع عنها؟

ممكن أن نلخص الأدوار التي يقوم بها المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا بصفته مؤسسة إسلامية ألمانية مستقلة، في ثلاثة أدوار رئيسة: الأول يتعلق بمجال التنسيق بين المساجد والمراكز الإسلامية من أجل الاستفادة من التجارب المختلفة في مواجهة التحديات المشتركة، حيث إن المؤسسات الإسلامية في ألمانيا تمر بتجارب بعضها إيجابية وأخرى سلبية يسعى المجلس إلى دراستها وتعميمها من أجل تجويد وتطوير العمل والعطاء. والثاني يتعلق بالتأطير عبر اللجنة العلمية من الأئمة والعلماء التابع للمجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا، هذه اللجنة من العلماء والخبراء تحاول أن تقدم الإجابة على الأسئلة المجتمعية الآنية من منطلق المواطنة الفعالة داخل مجتمع متعدد الأديان والثقافات. والثالث يتعلق بتمثيل المسلمين أمام مؤسسات الدولة المختلفة والمجالس الحكومية الولائية والمركزية ووسائل الإعلام والمجتمع المدني. وينضوي تحت مظلة المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا أكثر من ٣٠٠ مسجد ومركز إسلامي.

ولقد تطوّر عمل المجلس الأعلى للمسلمين منذ عقود إلى أن أصبح يشكّل لدى السلطات والإعلام الألماني المرجع الرئيس، كونه يتميز بميزتين أساسيتين، هما التنوع المذهبي والمرجعي الإسلامي، إذ يحضن أعضاء من دول البلقان ومن تركيا ومن الدول العربية ومن أصول ألمانية وغيرها، وكذلك تبنيه جميع القضايا المجتمعية كجزء من المجتمع الألماني وليس كمؤسسة تخدم جالية من الجاليات. ولغة الخطاب الداخلية في المجلس هي اللغة الألمانية، وتفاعلنا مع كلّ القضايا ينبع من المسؤولية والإحساس بالانتماء والمواطنة.

"مبادرات رابطة العالم الإسلامي تهدف جميعها إلى بناء جسور التواصل والتعايش والاحترام بين أتباع الأديان والثقافات

"نقوم باستثمار المبادرات الإنسانية لرابطة العالم الإسلامي في توضيح روح ديننا الإسلامي الحنيف مع شركائنا داخل ألمانيا وخارجها

• كم عدد المساجد والمؤسسات الإسلامية في ألمانيا وما مدى التعاون والتنسيق بينها؟

الإسلام في ألمانيا له تاريخ عريق، فأقدم مسجد بني في ألمانيا كان سنة ١٧٩٢م، كما أن الرابطة الإسلامية الألمانية، وهي عضو مؤسس للمجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا، تعد من أقدم المؤسسات الإسلامية في ألمانيا، حيث تم تأسيسها سنة ١٩٤٩م.

عدد المسلمين في تزايد مستمر، ويقدر حاليا بخمسة ملايين مسلم، من أصول مختلفة. ويتجاوز عدد المساجد في ألمانيا ٢٦٠٠ مسجد، تؤطر عبر مؤسسات ومجالس جامعة، بعضها أسست على خلفيات عرقية وأخرى على خلفية لغوية، ويتميز المجلس الأعلى للمسلمين في هذا الباب كونه يجمع جميع الخلفيات والمذاهب، وأُسس على مبدأ الانتماء والمواطنة داخل ألمانيا دون أي تبعية خارجية.

وقد أسس المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا إلى جانب كبار المؤسسات الإسلامية في ألمانيا

ساهمت عوامل عدة محلية وإقليمية وعالمية في تفشي وباء الإسلاموفوبيا في المجتمع

مجلساً تنسيقياً للمسلمين، يقوم بتنظيم الأمور العامة والشاملة للمسلمين في ألمانيا، مثل تحديد أيام الأعياد وبداية رمضان، إلى جانب تنظيم يوم مفتوح للمساجد، والذي يصادف العيد الوطني الألماني في الثالث من أكتوبر.

• كيف يمكن تعزيز الوسطية والاعتدال في المجتمعات المسلمة وخاصة بين الشباب؟

أعتقد أن التربية والتعليم على قيم المواطنة الشاملة هي المنهج القويم في هذا الباب

كان يطلق على آبائنا وأمهاتنا من الجيل الأول من المهاجرين المسلمين إلى ألمانيا العمال الضيوف (Gastarbeiter) ، وكان هذا المصطلح بمثابة عنوان لبرنامج الهجرة الذي اتخذته الحكومة الألمانية في ستينيات، وسبعينيات القرن الماضي، والذي رضيت به جميع الأطراف: الحكومة، والمجتمع، والمهاجرون أنفسهم، إذ اعتبر الجميع الهجرة ضيافة مؤقتة لليد العاملة، مرهونة بعقدة العمل لا غير. لم يكن أحد يتحدث في ذلك الحين عن شيء اسمه الاندماج، والإثراء الثقافي أو المواطنة.

لقد كان تركيز الدولة، والمجتمع في ذلك الوقت على الطاقة "العُمالية" للمهاجرين، ولم يلتفت أحد إلى أن هذه اليد العاملة لها احتياجات وحنين لروح وثقافة شبت عليها في بلدانها الأصلية. ومن الجانب الآخر اعتبر المهاجرون أنفسهم في مرحلة مرهونة بالعمل الشاق، وجمع الأموال من أجل تحسين ظروف العيش لهم ولأسرهم بعد عودتهم إلى بلدانهم الأصلية. ولم يفكر أحد أن هذا البلد المضيف قد يتحول في وقت وجيز إلى الوطن الثاني له، والوطن الأول لأولاده، ولأحفاده، مما جعل منظور المهاجر أو العامل الضيف مسيطراً على فعلهم، وفاعليتهم داخل المجتمع.

إن كان هذا السلوك مفهوماً ومقبولاً لدى الجيل الأول من المهاجرين المسلمين إلى ألمانيا فإنه لا يجوز قبول استمراريته عند الأجيال الأخرى. ولعل في استمرارية هذا التحديد المعتل لهويتنا سر مشاكلنا الاندماجية، وقلة نجاحنا المجتمعي، بل ربما كذلك سبب التشويه، والتمييز الذي يطالنا.

أرى أن سؤال الهوية يعتبر سؤالاً مركزياً في طريق تحقيق المواطنة الفعالة. فجوابنا عن ماهيتنا يبسط لنا الطريق إما إلى الانخراط المجتمعي الكامل، والبناء أو إلى التقوقع في الهوامش، والغرق في الإحساس بعدم الانتماء، وتقمص دور الغريب الأبدي.

علينا أن نحدد هويتنا باكراً كمواطنين كاملي المواطنة في هذه البلدان التي نعيش فيها، وأن نعتبر هذه المواطنة، وهذا الانتماء مسؤولية على أعناقنا، فنسعى إلى تحقيق الرخاء، والازدهار، والخيرية فيها بكل ما أوتينا من إمكانات وقوة. كما نجتهد في إبعاد كل الشرور والمفاسد عنها، في تحالف وطني شامل عابر للانتماءات الدينية والعرقية.

ولنا في حبيبنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خير أسوة، إذ أسس عبر وثيقة المدينة المنورة لأول دستور وطني جامع يُحق الحقوق، ويقوي التعاضد والتعاون بين كل أطياف المجتمع على البر والتقوى.

• على الرغم من الاختلاف في الثقافات إلا أن هناك قيماً مشتركة تجمع جميع البشر جديرة بالاهتمام والرعاية من الجميع ما هي هذه القيم برأيك؟

ليس ثَمَّة سبيل في مجتمع متعدد الثقافات كالمجتمع الألماني سوى التركيز على القواسم والقيم المشتركة بين الأديان والثقافات المختلفة للحفاظ على السلم المجتمعي، وتحقيق التعاون والتعايش، ونبذ خطاب الحقد، والكراهية. وإذا كان هذا التركيز مرغوباً فيه في الظروف العادية فإنه يكتسي في ظل صعود اليمين المتطرف، وارتفاع وتيرة الاعتداءات العنصرية، وتزايد الاستقطاب، والغلو، والتطرف الديني خاصة في الآونة الأخيرة، أهمية بالغة.

إن أول هذه القواسم المشتركة، وأهمها على الإطلاق هو المواطنة الواحدة التي يشترك فيها كل أطياف المجتمع الألماني على حد سواء، خاصة أن الدستور الألماني لا يميز في هذا الخصوص بين الناس مهما اختلفت إثنياتهم وأجناسهم وألسنتهم ومعتقداتهم وثقافاتهم وألوان بشرتهم، فالكل سواء، ولا فضل للألماني "القح" ذي السحنات الأوروبية على الألماني ذي الخلفية الأجنبية من المهاجرين، ولا فضل للمواطن المسيحي على غير المسيحي. وقيمة المواطنة لا يمكن أن يتحلى بها من يعيش منغلقاً على نفسه في مجتمعات موازية في منأى عن المجتمع الألماني، أو من لا زال يعتبر نفسه أجنبياً أو عابر سبيل؛ كما لا يمكن أن يعيشها من يعاني من التمييز والعنصرية من طرف شريحة من المجتمع ما زالت تعتبر المواطنين ذوي الأصول الأجنبية غرباء وأجانب.

إضافة إلى القيمة السالفة الذكر فإن باقي القيم الإنسانية مثل العدل، والمساواة، والتكافل الاجتماعي، وإفشاء السلام، والحوار، ونبذ العنف، والكراهية التي لا يؤمن بها أتباع الديانات السماوية فحسب، بل حتى غير المتدينين، يمكن أن تكون أساساً للتعاون المثمر، وأن تشكل قاعدة لإنشاء الكثير من "أحلاف الفضول" بين المسلمين، وغيرهم في المجتمع الألماني من أجل ضمان السلم الاجتماعي، ومحاربة كل أشكال، وألوان التمييز،

ترجمت رابطة العالم الإسلامي بنود وثيقة مكة المكرمة في برنامج تواصلي حضاري في رسالة للعالم بأن الإسلام لا يعرف الازدواجية والتمييز

والعنصرية، ومن أجل تحقيق الرخاء للمجتمع الألماني كافة، إلا أن اهتمام المسلمين بالقيم، والقواسم المشتركة مع غير المسلمين في المجتمع الألماني لن يُحمل محمل الجد، ولا يمكن أن يؤتي أكله إلا إذا اهتم المسلمون بذلك فيما بينهم أولا. فكل هذه القيم سالفة الذكر يجب أن تطغى على الانتماءات المذهبية، والأيديولوجية، والمشارب السياسية، والميزات الثقافية، والقومية الخاصة. ويجب أن يكون الانتماء إلى الإسلام القاسم المشترك الذي يجعل منهم على اختلاف أصولهم كياناً واحداً يمكنهم من تحقيق شروط الطائفة الدينية حسب المفهوم الدستوري الألماني على غرار الطائفة المسيحية واليهودية.

• ما مدى وجود ظاهرة الإسلاموفوبيا في المجتمع الألماني؟ وما جهود مسلمي ألمانيا في إيضاح حقيقة الإسلام والتصدي لهذه الظاهرة؟

في الآونة الأخيرة أصبحت ظاهرة الإسلاموفوبيا تتخذ أبعاداً مثيرة للقلق في المجتمع الألماني مثلما هو الشأن في باقي المجتمعات الغربية. وقد ساهمت عوامل عدة، محلية وإقليمية وعالمية، في الإسراع بوتيرة تفشي هذا الوباء في المجتمع. ففي حين كانت عنصرية معاداة الإسلام والمسلمين مقصورة في الماضي على شريحة معينة من المجتمع الألماني تتسم غالبا

هناك قيم مشتركة جديرة بالاهتمام على الرغم من الاختلاف في الثقافات، مثل المواطنة والعدل والمساواة والتكافل الاجتماعي وإفشاء السلام والحوار ونبذ العنف والكراهية

بضعف التكوين، وتعاني من البطالة، والفقر، أضحت اليوم تتفشى حتى في أوساط الطبقة المتوسطة من المثقفين والسياسيين والإعلاميين. وفي حين كانت عنصرية معاداة الإسلام في الماضي نتيجة الجهل أو تجارب سلبية شخصية مع مسلمين، أو عاقبة الاستهلاك الأعمى لما تنتجه الصحافة الصفراء، أصبح المسلمون اليوم يعانون من عنصرية منهجة تقف وراءها شبكات معقدة تسعى بأساليب مختلفة إلى شيطنة الإسلام والمسلمين ومؤسساتهم بدون استثناء، وذلك عبر تشويه سمعة الشخصيات المسلمة مجتمعياً، وسياسياً، وإعلامياً، والتشكيك في مصداقية المنظمات الإسلامية الكبيرة، ومدى ولائها لقيم الدستور الألماني، أو مدى قدرتها على تمثيل المسلمين لدى الدولة، والمجتمع؛ وعبر تأليب الرأي العام على الشخصيات الإسلامية التي تحظى بحضور في السياسة، والإعلام؛ وعبر ممارسة الضغط على أجهزة الدولة، ورجالاتها لقطع شراكاتها مع منظمات المسلمين التي يكيلون لها جملة وتفصيلا تهمة التطرف، والإسلاموية. وقد ساهم صعود اليمين المتطرف عقب الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨، وما تلاها من مشاكل اقتصادية، واجتماعية؛ وظهور الحركات العنصرية المعادية للمسلمين كـ"بيغيدا" (وطنيون أوروبيون ضد أسلمة الغرب)، ومثيلاتها عام ٢٠١٤؛ والاستغلال الشعبوي لملف اللاجئين عام ٢٠١٥، في تحقيق شبكات معاداة الإسلام والمسلمين في ألمانيا الكثير من أهدافها.

• يتولى المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا ملف الحوار بين أتباع الأديان، إلى أين وصل الحوار حتى الآن؟ وما أبرز القضايا التي تمت مناقشتها؟

المجلس الأعلى للمسلمين منذ نشأته الأولى جعل الحوار الثقافي والديني من أهم واجباته وتواصل مع الأديان الأخرى، وقام منذ اثني عشر عاما بتكليف مفوض خاص للحوار والكنيسة، وشارك المجلس في ملفات وهيئات ونشاطات مختلفة على مستويات عدة نذكر منها:

الحوار مع الكنائس، مثل الملتقى السنوي على أعلى مستوى مع قادة الكنيسة الإنجيلية في ألمانيا وممثلي مجلس التنسيق الأعلى للمسلمين في ألمانيا، وكذلك المشاركة في دائرة حوار الكنيسة الكاثوليكية مع المسلمين في ألمانيا. وتبحث في هذه الملتقيات القضايا الاجتماعية والدينية والقضايا الملحة مثل العنصرية والتخويف من الإسلام إضافة للحوار والاندماج الإيجابي والتعاون والتفاهم المشترك والاحترام المتبادل، وكذلك القضايا الطارئة مثل جائحة كورونا.

والمشاركة في اللجنة التحضيرية لأسبوع حوار الثقافات مع كل من الكنائس والنقابات العمالية والجمعيات الخيرية والأهلية، والذي يقيم أكثر من ألفي نشاط في الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر في مختلف المدن الألمانية، ويسعى إلى التعارف والتفاهم الثقافي والديني ودعم مجتمع متحد متعدد الثقافات والأديان في تنوع إيجابي يثري المجتمع ضمن تفاهم إنساني تحت مظلة دولة العدل والقانون.

والمشاركة في ملتقى المائدة المستديرة للأديان في

ألمانيا، والذي تشارك فيه الأديان التوحيدية والأديان الأخرى. وتقيم هذه المائدة إلى جانب اللقاءات الدورية لقاء يوم الأديان، حيث يتنقل من مدينة إلى أخرى ويسعى في طرح قضايا مجتمعية مشتركة ويدعم الحوار واللقاءات بين كل الأديان والثقافات.

المشاركة في مشروع نشاط: هل تعلم من أنا؟ والذي يشارك فيه ممثلون عن مجلس الكنائس في ألمانيا والمجالس الإسلامية ومجلس اليهود في ألمانيا، وتدعم هذا النشاط وزارة الداخلية الألمانية. ويسعى هذا المشروع للتواصل بين المسلمين والمسيحيين واليهود. ويشترط هذا النشاط مشاركة المسلمين بالضرورة كشرط لإمكانية الدعم المالي والمعنوي.

والمشاركة أيضاً في مبادرة السلام الإسلامية المسيحية والتي تهدف لتأطير ودعم مفهوم السلام بين الديانتين والحفاظ عليه، ودعم الحوار والتفاهم بين أعضاء المجتمع الواحد بدياناته المختلفة منطلقة من أن الدين يحمل بين طياته بالتأكيد قوة حقيقية دافعة للسلام بين البشر.

وفي جائحة كورونا كان التواصل مع الأديان الأخرى وإقامة النشاطات، وأثمر التواصل عن رفع الأذان وقرع أجراس الكنائس في بعض المناطق مع كنس اليهود، كل على طريقته متضرعاً للخالق في هذه الجائحة. وقد قام المجلس الأعلى بالمبادرة بتلبية الدعوة للدعاء المشترك للأديان في الرابع عشر من شهر يونيو، حيث شارك فيها ممثلو الأديان على أعلى مستوى، كل على طريقته وعن بعد، وكان لهذا أثر إيجابي في المجتمع.

هذه بعض الأمثلة البارزة في أعمال الحوار وتبادل الآراء على مستوى ألمانيا، وهناك أيضا العشرات بل المئات من نشاطات الحوار والتواصل والتعاون مع الأديان الأخرى على مستوى الولايات وعلى المستوى المحلي، والذي تقوم به الجمعيات والمساجد مشكورة.

يقوم المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا بتمثيل المسلمين أمام مؤسسات الدولة المختلفة وينضوي تحت مظلته ما يزيد على ٣٠٠ مسجد ومركز إسلامي

ويمكننا أخيرا القول إن الحوار أثمر للجميع مع مرور السنوات. إننا نعتقد جازمين بضرورة استمرار وتطوير هذا الحوار الذي يقود للتعارف والتفاهم والثقة المتبادلة، وبالتالي التعاون المشترك الضروري لمستقبل سلمي وحرية أفضل للجميع.

• كيف ترى جهود معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في نشر قيم الوسطية والاعتدال والتسامح في العالم من خلال زياراتك الدولية؟

نعيش كمسلمين ألمان داخل وطننا بعض الاضطهادات من جبهتين متضاربتين ويمكن اعتبارهما وجهين لعملة واحدة، أولهما اليمين العنصري المتطرف الذي أصبح يغزو البلاد مؤسساتياً ومجتمعياً، والذي يحاول جاهدا إسقاط صفة الانتماء والمواطنة على جميع من يخالفه أيديولوجيته الفاشية الإقصائية، وثانيهما التطرف الديني الذي تنهجه بعض التيارات، والتي هي الأخرى تحاول عزل المسلم عن محيطه وتفسقه وتضايقه بسبب حبه وانتمائه لوطنه المتعدد الثقافات والأديان.

وفي ظل هذا الواقع المضطرب تأتي وثيقة مكة المكرمة نتيجة لأكبر مؤتمر لعلماء ومفتي الأمة الإسلامية في أطهر وأشرف بقاع الأرض؛ لتذكر

على المسلمين المساهمة في رخاء وأمن واستقرار المجتمعات التي يعيشون فيها من خلال الشعور بالانتماء الحقيقي للمجتمع والمشاركة المجتمعية والسياسية

الإنسانية جمعاء بقيم المحبة والرحمة والبناء التي أقرها ديننا الحنيف، والتي جسدها حبيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته العطرة.

ولقد كان للمجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا شرف حضور هذه القمة العالمية التي شارك فيها أكثر من ١٢٠٠ عالم ومفتٍ ممثلين لمختلف المذاهب والطوائف الإسلامية.

كما ترجمت رابطة العالم الإسلامي وأمينها العام الدكتور محمد العيسى بنود هذه الوثيقة المباركة إلى برنامج تواصلي حضاري كانت بعض محطاته زيارة معسكر الإبادة النازي أوشفيتس، وكذلك النصب التذكاري لمذبحة سربرنيتسا في البوسنة والهرسك، في رسالة للعالم أن الإسلام لا يعرف الازدواجية والتمييز، وأننا في أمس الحاجة إلى تحالف إنساني قوي من أجل تحقيق كرامة الإنسان، أي إنسان مهما كان عرقه أو جنسه أو دينه.

قد لا يتسع المقام لذكر جل مبادرات رابطة العالم الإسلامي بقيادة الأمين العام الدكتور محمد العيسى التي تهدف كلها إلى بناء جسور التواصل والتعايش والاحترام بين أتباع الأديان والثقافات المختلفة، ومكافحة الكراهية والغلو والتطرف بجميع ألوانها، هذه المبادرات الإنسانية التي نستثمرها في توضيح روح ديننا الإسلامي الحنيف مع شركائنا داخل ألمانيا وخارجها.

• كيف يمكن للمسلمين في دول الأقليات المساهمة في رخاء وأمن واستقرار بلدانهم التي يعيشون فيها باعتبارهم مواطنين وفي نشر قيم التسامح بين الأديان والثقافات؟

يمكن للمسلمين المساهمة في رخاء وأمن واستقرار المجتمعات التي يعيشون فيها من خلال مجموعة من الأمور، من أهمها:

الأمر الأول: الشعور بالانتماء الحقيقي للمجتمع، بمعنى ألا يعتبر المسلمون أنفسهم ضيوفاً طارئين على المجتمع، بل هم جزء لا يتجزأ منه لهم حقوق وعليهم واجبات، وهذا الشعور بالمواطنة والانتماء هو الدافع الحقيقي لتحقيق الرخاء والاستقرار. ويبدأ الموضوع بتغيير بعض الأدبيات التي درج المسلمون على استعمالها مثل الأجانب أو الجالية المسلمة، بل يجب أن نتحدث عن الوجود الإسلامي في ألمانيا وعن المسلمين الألمان ولا نعني بذلك المسلمين الجدد فقط، بل كل المسلمين الذين يعيشون على التراب الألماني، الذين يشتغلون ويدفعون الضرائب ويرسلون أبناءهم للمدارس هم مسلمون ألمان بغض النظر عن لون بشرتهم. هكذا يجب أن نفكر، أي إننا مواطنون كاملو المواطنة في هذا البلد، يعنينا أمنه واستقراره.

الأمر الثاني: عدم الاكتفاء بالشعور بالانتماء .

بعد تثبيت هذا الشعور بالانتماء يحتاج المسلمون في المجتمعات المتعددة إلى ترجمته على أرض الواقع في مجالات متعددة منها:

المشاركة المجتمعية، المشاركة السياسية، مواجهة التطرف الديني، مواجهة العنصرية ،والتطرف اليميني

في الاندماج الاجتماعي الإيجابي

الدكتور عبدالقادر الشيخلي
مستشار في رابطة العالم الإسلامي

حقيقة الاندماج الاجتماعي الإيجابي في المجتمعات الغربية؛ موضوع مهم يصلح أن يكون عنوان كتاب شامل. وهو موضوع الساعة لأنه يتصل بالمسلم المهاجر إلى مجتمع غربي بمحض إرادته.

بادئ ذي بدء فإن المسلم هاجر إلى مجتمع غربي بمحض إرادته الحرة، فهو قد اختار أن يكون مستقبله هناك، ولا شك أن هذه المجتمعات تُديرها دول معينة، ولها قوانين وقيم وعادات تختلف في معظم الأحيان عما اعتاد عليه المهاجر في بلده الأصلي، وبما أن هذه الدول قد فتحت له أبواب العمل أو الدراسة فعليه احترام دستور الدولة وقوانينها، وقيم المجتمع وأعرافه، فهو مُلزم بهذا الاتجاه لأنه جاء إلى هذا المجتمع طواعيةً فيعمل مع بقية العاملين من أبناء البلاد، وعليه أن يكون جزءاً صالحاً لا يتجزأ من هذا المجتمع، فيتعلم لغته، ويحترم قوانينه، فإذا وجد حالات شاذة ففي كل مجتمع مثل هذه الحالات، وإذا لاحظ اتجاهات نحو "الإسلاموفوبيا"، أو الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فهناك في داخل المجتمع الغربي إساءة إلى المسيح عليه السلام وكذلك إساءات شائنة إلى السيدة مريم عليها السلام من خلال مسرحيات هزلية، وهناك مفكرون في المجتمعات الغربية يحترمون الإسلام بل ويدافعون عن الرسول صلى الله عليه وسلم. والشاذ لا يُقاس عليه، وعلى المقيم أن يتعامل بروح الإسلام القائمة على التسامح والعدالة واحترام الغير، وبذلك يعطي انطباعاً طيباً عن الإسلام والمسلمين. وبطبيعة الحال قد يظهر شاب مسلم يقوم بعمل إرهابي فهذا لا يعبر عن حقيقة الإسلام، لأنه قابل تكريمه بقبوله في البلاد بسلوك لئيم، كما أن أي شاب غربي إرهابي لا يمثل جميع أفراد المجتمع، ومن خلال السلوك القائم على النزاهة والتسامح واحترام الغير، يتمكن المهاجر من الاندماج الإيجابي في هذا المجتمع المتنوع في حقيقته.

وبعض الأفراد قد لا يندمجون في مجتمعهم الأصلي، فكيف يندمجون في مجتمع آخر، ولذلك فإن الاندماج هو مسألة نفسية وثقافية، وطبيعة الحياة المعاصرة تتطلب الاندماج حتى يعيش الإنسان بسلام مع نفسه ومع الآخرين، والآن تتداخل المجتمعات وتتفاعل اقتصادياً وثقافياً، الأمر الذي يُثبت وحدة الجنس البشري.

خطط استباقية
لمجتمعات آمنة
بتعاون ودعم الجهات الرسمية المعنية والوزارات ذات الاختصاص
تنطلق من:
رؤية رابطة العالم الإسلامي العالمية الحاضنة للجميع
برامج عامة:
للتصدي لكل مخاطر الأمن الاجتماعي ومهددات المجتمع الإنساني
مبادرات خاصة:
موجهة للشباب ومجتمعات التنوع وأتباع الأديان
من آلياتها التنفيذية:
تحصين العاطفة الدينية
تعزيز الاندماج الوطني
مواجهة كل أشكال التطرف
تجريم الكراهية والعنصرية
التنبيه لمخاطر فرض القناعات
تجريم ازدراء أتباع الأديان

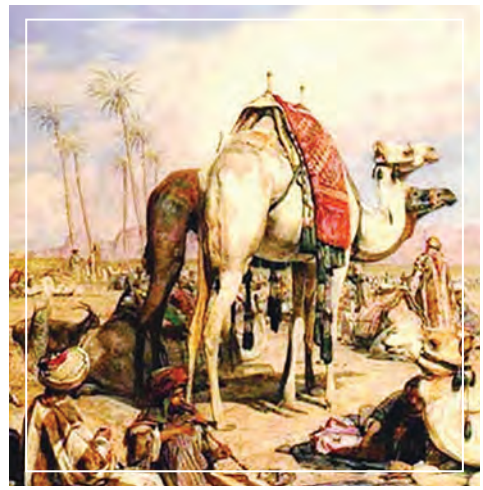

التجارة والتعريف بالإسلام

بقلم: الزبير مهداد ـ المغرب

الكونت "هنري كاستري" مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٥٠م، وتوفي في سنة ١٩٢٧م، عاش في الجزائر عدة سنوات، ساعدته على التعرف على الإسلام عن كثب، وتكوين صورة صحيحة عنه وعن المسلمين، صنف عدة كتب، أبان فيها عن نظرة منصفة للإسلام وأهله.

ردا على المزاعم الباطلة التي روجها بعض المستشرقين المتعصبين، حول اعتناق الناس للإسلام، وقولهم إنه انتشر بينهم بحد السيف والترهيب، قال كاستري في كتابه "الإسلام خواطر وسوانح": "لو كان الإسلام انتشر بالعنفِ والإجبار؛ للَزِم أن يقفَ سيرُه بانقضاءِ الفتوحات الإسلامية، مع أننا لا نزال نرى القرآن يبسطُ جَنَاحيه في جميع أرجاء العالَم". ضاربا المثل بمناطق عدة منها الصين وبلدان إفريقية ينتشر الإسلام بين أهلها دون أن تبلغها جيوش الفتح الإسلامي. شرح كاستري في كتابه المذكور أن إقبال الناس على اعتناق الإسلام إنما تم طواعية وباختيارهم الحر بدون أدنى إكراه، بفضل التجار المسلمين الذين تعاملوا معهم.

التجار الدعاة

ويؤكد المستشرق لمواطنيه الفرنسيين أن الإسلام لم ينتشر على يد الغزاة والفاتحين، بل نشره الدعاة والتجار المسلمون المسالمون، الذين كان مقدمهم موضع ترحيب، لأن سيرتهم مع الناس كانت تعكس الفضائل الخلقية الإسلامية ومثله الاجتماعية السمحة، يقضون مصالحهم، ويوفرون لهم أسباب وشروط العيش الرغيد، وينمون الاقتصاد المحلي، فكان الدين ينتشر بسهولة بمجرد الاختلاط والمعاشرة، بدون أدنى إكراه. لذلك توجه هذا المستشرق في كتابه بدعوة المعمرين الفرنسيين في إفريقيا إلى عدم التدخل في سير الدعوة الإسلامية بين الأفارقة، مؤكدا لهم أن اعتناق الأفارقة للإسلام يسهم في الارتقاء بأحوالهم وأخلاقهم ويحضرهم.

شهادة المؤرخين والجغرافيين

وقد أشار كثير من رواد المؤرخين والرحالة والجغرافيين المسلمين، إلى ارتباط التجارة بنشوء الحواضر الإفريقية الإسلامية الكبرى، فلولا القوافل التجارية التي كانت تخترق الصحراء الإفريقية لما

نشأت كثير من المدن.

المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، والإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، أوردا معلومات وافرة عن بلاد السودان الغربي، خاصة مملكة مالي والصحراء الكبرى، والعلاقات التجارية التي كانت تربطها بالحواضر الإسلامية مثل سجلماسة وزويلة وفزان وأودغشت. أما البكري فقد ألف كتابه المسالك والممالك اعتمادا على المعلومات التي زوده بها التجار العرب المسلمون، الذين كانوا يجوبون المراكز التجارية في السودان الغربي. في حين أن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، اتخذ من كتب البكري والإدريسي وغيرهما مراجع لكتابه، وأضاف إلى تلك المعلومات ما تلقاه من بعض التجار والدعاة الذين عاشوا في السودان الغربي.

الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا تكلم عن بلاد السودان الغربي التي زارها مرتين سنة ٩١٩ و٩٢١هـ، وتزامنت رحلته مع ظهور دولة سنغاي وازدهارها في عهد الأسكيين، وذكر في كتابه معلومات هامة عن أبرز المراكز الحضارية مثل تنبكتو وجاو وجني وغيرها، وتكلم عن ازدهار التجارة في هذه المدن وثراء أهلها وكثرة دكاكينها وأسواقها، واصفا الطرق التي كانت تسلكها القوافل.

مؤسسة القافلة

القوافل التجارية كانت بمثابة مؤسسات متحركة، يترأسها أمير يخضع الجميع لقيادته، كان يُختارُ من بين الأعيان الذين يحظون بتقدير الناس واحترامهم وثقتهم، كما تضم فقيه القافلة، الذي يتولى إمامة الصلاة وتجهيز الموتى والفتوى في النوازل، وضبط المعاملات بين أفراد القافلة، وبينهم وبين التجار وأهالي البلد، إلى جانب التجار والأدلة والمكلفين بالتكشيف والخدمة وغيرهم، وكان حلولهم بالحواضر الإفريقية بمثابة عيد، يحتفي الناس بقدومهم، لما يرتبط به من خير ومنفعة، وكانت الحواضر الإفريقية تتهيأ للحدث بإنشاء الأسواق والمرافق التابعة لها كالمساجد لإقامة الصلاة، التي تلحق بها مراكز للتعليم. أو مقرات لسكنى التجار المتخلفين، الذين قد تضطرهم ظروف ما، مناخية أو سياسية أو صحية أو غيرها، لتأخير العودة.

وعلى غرار إسهام القوافل التجارية في إنشاء المراكز الحضرية الإسلامية الكبرى في إفريقيا، فإن السفن التجارية التي كانت تمخر عباب المحيط الهندي محملة بالبضائع من وإلى البلدان الإسلامية، أسهمت بدورها في إنشاء مراكز تجارية على امتداد سواحل الهند وسيلان والصين وجاوة وغيرها، هذه المراكز التجارية التي كان ينزل بها التجار المسلمون، كانت مصابيح تشع منها الدعوة الإسلامية، التي كان يتولاها التجار المسلمون أو أهلهم، سواء بالدعوة المباشرة، أو عن طريق المعاملات التجارية، أو المصاهرة والمعاشرة.

كما أشار توماس أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام، إلى أن قوافل التجار كانت تصحب معها أحيانا جماعات صوفية، تستهويها السياحة الثقافية، فتتجول في البلدان، وتدعو الناس إلى الإسلام على امتداد طرق القوافل. وقد أفلح هؤلاء الصوفية أيضا، في هداية الناس إلى الدين ودعوتهم إليه، في كثير من المناطق في إفريقيا كالسودان، وآسيا كالهند وجنوب شرق آسيا والشرق الأقصى. فلفهم واستيعاب خريطة انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء وجنوب شرق آسيا، حتى الصين، لا بد من تتبع خريطة الطرق التجارية، في هذه المناطق، التي كان التجار فيها ناقلي حضارة وثقافة، إضافة إلى نقلهم السلع والبضائع.

اندماج اجتماعي

كان التجار المسلمون يقضون وقتا مهما بين الأهالي، خاصة خلال الفترات التي يصعب فيها تنظيم رحلة العودة، فكان التجار يندمجون مع

الأهالي، ويتعرفون على أنماط عيشهم المختلفة وعاداتهم ولغاتهم ويراعونها، ما كان يؤسس لتواصل فعال ومتين وثابت، وكثير من التجار اختار الإقامة في البلدان المضيفة، فاستقروا فيها بين أهاليها، وتزوجوا منهم. ومن ذلك ما ذكره الحسن الوزان في وصف إفريقيا أن ملك تنبكتو زوج ابنتيه لتاجرين مسلمين.

إن هذه المصاهرة والاستقرار والشراكة، كانت عاملا هاما في ترسيخ الإسلام في المنطقة، وفي نهضتها العلمية والتجارية والعمرانية، لأنها كانت سببا في تأسيس الأهالي المساجد والمدارس ومراكز التعليم، والعملية شاركت فيها النساء أيضا، مثل مسجد سنكوري في تنبكتو الذي كان لإقامة الصلوات وللتعليم، ذكر السعدي في تاريخه أن "مسجد سنكري بنته امرأة.. ذات مال كثير".

بفضل الإسلام، حورب الطغيان والظلم الاجتماعي والاستبداد، ونشأ نظام عدالة ومساواة، وقامت حضارة مهمة عمرانية وثقافية، فالتجار المسلمون كانوا يدعمون الحركة العلمية، والعلماء والمؤسسات وطلبة العلم، بل كانوا بمثابة سفراء لبلدانهم وممثلين لمؤسساتهم العلمية والثقافية، إذ ساعدوا على توجيه الكثير من طلبة العلم إلى المراكز العلمية الإسلامية الكبرى في شمال إفريقيا وشبه الجزيرة العربية والشام وغيرها. كما أنهم لم يجدوا غضاضة في دعم وتشجيع التعليم باللغات المحلية، فكانوا سبباً في سطوع نجم عدد من العلماء الذين صنفوا كتباً في الدين والأدب والثقافة باللغات المحلية.

أمانة وصدق

لم يكن انتشار الإسلام عن طريق المعاملات التجارية ناجًا عن نوع البضاعة ولا كميتها ولا أثمانها، إنما كان بسبب طبيعة التجارة الإسلامية، التي كانت كسائر المعاملات، تخضع لضوابط دقيقة حددها الفقهاء لمنع المعاملات المنكرة والبيوع الفاسدة، ولتحديد دقيق وسليم للمقاييس والمكاييل، ومنع كل أشكال المضاربة والاحتكار والمعاملات الربوية، لحماية حقوق المتبضعين أياً كان لونهم وديانتهم، من كل غش وتدليس، وفي كتب الحسبة بيان لتلك الشروط. والتجار المسلمون كانوا يخضعون للأحكام الشرعية، ومراقبة المحتسبين، مما أسهم في رسوخ أخلاق الأمانة والصدق والعدالة لديهم، الأمر الذي أشاع جو الثقة في العمل التجاري الإسلامي، فلقي التجار المسلمون الترحاب حيثما حلوا.

إن التجار المسلمين كانوا دعاة بأخلاقهم وسلوكهم، وبتواضعهم، وحسن تواصلهم مع غيرهم، فكسبوا الاحترام والثقة، ووَصلوا إلى أعماق قلوب الناس، فحملوا مشعل الدعوة الذي أضاء طريق الناس.

إسلام الناس أفواجا

بعض المدن التي كانت قلاعا للوثنية مثل "غانة" و"جني" تحولت إلى الإسلام، وأصبحت مراكز لنشر الدعوة وبث الإسلام في إفريقيا كافة.

فأما عن غانة، فيقول البكري عن سلطانها بسي الذي توفي عام ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م إنه كان يُعبِّر عن حبّه للإسلام والمسلمين، أما ابنه "تنكامين" الذي خلفه في الحكم، فقد اعتمد في تدبير شؤون المملكة على المسلمين. وعاصمة البلاد كانت تسمى "كومبي صالح"، وتتألف من شطرين، أحدهما للمسلمين، وبه اثنا عشر مسجدا، والثاني للملك، وبه أيضا مسجد لصلاة المسلمين الوافدين عليه.

وأما عن حاضرة "جني" فيقول السعدي عن إسلام سلطانها: عندما أراد أن يدخل في الإسلام، أمر بإحضار من فيها من المسلمين، من الدعاة والتجار والعلماء الذين دخل بعضهم مع القوافل التجارية، وتم إحضارهم، فكان عددهم يقارب أربعة آلاف ومئتين من المسلمين، فأسلم على أيديهم، وأمرهم أن يدعوا إلى الله، فدخل الجميع في دين الله.

خبراء التربية يرسمون خارطة المواطنة في الجامعات:

البيئة التعليمية تعزيز لقيم المواطنة

إعداد: عبدالله حسين

تسهم الجامعات الحديثة بدور ملموس في تطور المجتمعات البشرية ورقيها، فهي المنارة التي تضيء للمجتمع بالعلم والمعرفة، وهي من تضع المجتمعات في المكانة العلمية بين الدول المتقدمة، ولا شك أن دورها لا يقتصر على ترسيخ العلوم وحسب، بل تسهم بشكل فاعل في ترسيخ القيم والمفاهيم

المجتمعية، ومن أهمها تعزيز المواطنة، وهو ما سنعرضه في الأسطر التالية من خلال طرح آراء الباحثين والمتخصصين في هذا الشأن.

السلام العالمي

يؤكد الأستاذ الدكتور محمود السيد داود، أستاذ السياسة الشرعية والعلاقات الدولية بجامعة البحرين، على الدور الذي تلعبه الجامعات في تعزيز السلام، وهو أصل العلاقات بين الدول، من أجل تعزيز السلام العالمي، وقد حوته كتب الفقه الإسلامي، ويضاف إلى ذلك دعم الكثير من المقررات الإسلامية لكثير من المبادئ الإنسانية المشتركة بين مختلف الشعوب والدول، واعتبار أن هذه المبادئ هي الدعائم التي تنهض عليها العلاقات الدولية بصرف النظر عن لغتها أو دينها أو تاريخها، وغير ذلك.

واوضح داود أن هناك أربعة مبادئ أقرها الشرع الإسلامي الحنيف، أولها العدل العالمي الذي جعله الله قاسماً مشتركاً بين سائر الديانات السماوية، فقد أرسل به الرسل جميعاً، ونبههم إلى أن الحديد والقوة أداة لإقامة العدل وحمايته، وليس وسيلة لظلم الإنسان وإبادته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

وبناءً على ذلك يأمر الإسلام بالعدل لا بين المسلمين فقط، بل بين غير المسلمين أيضا، وإن كانوا أعداءهم حتى يعم السلام للجميع، ولا شك أن تربية الأجيال في جامعاتنا على هذا المبدأ تؤدي إلى وجود الدولة الناجحة والسياسة الصالحة، والسلام الدائم. وثانيها الوحدة الإنسانية، وهي من أهم المبادئ التي تتضمنها المقررات في جامعاتنا الإسلامية، وهو مبدأ يصنع السلام بنفسه، لأن الإسلام إلى الناس جميعا، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وديانتهم. إنهم يرجعون إلى أصل واحد، هو آدم عليه السلام، وقد أكد القرآن الكريم هذا المبدأ في آيات كثيرة منها، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

وثالثها التعاون الإنساني، وما يعمل على تعزيز السلام من خلال المقررات الجامعية وتركز على مبدأ التعاون بين الإنسانية جمعاء، وذلك لأن الفرد، كل فرد، يعجز وحده عن الاستقلال بمقومات حياته، دون الاستعانة بغيره، وكل شخص له من الخصائص الشخصية ما يجعله مختلفًا عن غيره، وهذا ما دعا إلى تكوين المجتمعات وإقرار مبدأ التعاون بين البشر جميعًا. ولقد كشف القرآن الكريم عن حقيقة هذا المبدأ حينما بين أن اختلاف الناس إلى شعوب وقبائل لا من أجل التناحر والتقاتل ولكن من أجل التعارف والتعاون، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. والمبدأ الرابع الصلة الإنسانية، وما يعزز السلام العالمي، أن مقرراتنا الإسلامية تتضمن الاعتراف بالأخوة الإنسانية بين البشر جميعا، بل تدعو إلى أن تكون هذه الأخوة موصولة غير مقطوعة، وأن تتوثق عراها بالبر والمودة والرأفة والرحمة، وفي ضوء ذلك يصرح القرآن الكريم بجواز مودة غير المسلم ممن لم يقاتلنا على ديننا ولم يخرجنا من أرضنا، فيقول سبحانه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

ولا شك أن استثمار هذه المبادئ، يعمل على إظهار الصورة المشرقة للإسلام، وهو ما يدعونا إلى إنشاء

برنامج "الإسلام والسلام العالمي" في بعض الجامعات الإسلامية، وإتاحة الدراسة فيه لغير المسلمين من سائر بلاد العالم، حتى تتضح لهم هذه الصورة عن قرب ودراسة وتعمق.

المواطنة الرقمية

الدكتورة آمال محمد عتيبة، أستاذة التربية في جامعة أم القرى، تعتبر أن عملية التربية في أي مجتمع من المجتمعات تهدف إلى إعداد المواطن الصالح المتمسك بقيمه والمدرك لحقوقه وواجباته ومسؤولياته، والقادر على الإسهام في تقدم مجتمعه وتحقيق آماله وطموحاته المستقبلية، ولذا فإن معظم الدول النامية منها والمتقدمة على حد سواء تضع التربية في أعلى سلم أولوياتها؛ باعتبارها خياراً وطنياً إستراتيجياً لإعداد مواطنين مكتملي المواطنة.

فالمواطنة تعد سلوكاً حضارياً يقوم به الفرد الصالح نحو وطنه أو المكان الذي يعيش فيه، أو حتى المنظمة التي يعمل بها. ومعنى ذلك أنها التزام عقدي وأخلاقي وحضاري؛ فالمواطنة مبنية على قيم ومبادئ الإنسان السوي تجاه وطنه ومجتمعه، حيث تصبح المواطنة لديه عبارة عن سلوك شخصي، وممارسة يومية في حياته.

والجامعة كما تصفها الدكتورة العتيبة هي أحد أبرز المؤسسات التعليمية والتربوية التي يناط بها مسؤوليات ومهام بالغة الأهمية في إعداد وتكوين المواطن عقلياً وجسمياً وخلقياً واجتماعياً، وتأهيله لقيادة مؤسسات المجتمع ضمن فلسفة المجتمع وقيمه وثقافته، وبالتالي يمكن القول إن الجامعة بمثابة البيئة الملائمة لتنمية قيم المواطنة لدى الطلبة.

وإذا كانت المواطنة تتخذ أشكالاً وصوراً عدة، انطلاقاً واتفاقاً مع طبيعة كل عصر ومتغيراته، فإنه في ظل طبيعة ومتغيرات العصر الرقمي وظهور وانتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات اتخذت

المواطنة شكلاً جديداً وصوراً أخرى، واتخذت حقوقاً وواجبات وأشكالاً تتفق وطبيعة الحياة ومطالب المواطنة في هذا العصر، حيث يشهد العصر الحالي ثورة رقمية متلاحقة ومتسارعة الخطى، ولذلك فإن مسألة وضع سياسات ضابطة تضمن حماية المواطنين من أخطار التكنولوجيا الرقمية، وفي الوقت نفسه تساعدهم على الاستفادة القصوى من مميزاتها، حيث باتت تمثل ضرورة عصرية؛ بمعنى وضع إطار عام لتوعية المواطن بضوابط التعامل مع التكنولوجيا الرقمية، من حيث ثلاثية الحقوق والواجبات والالتزامات، وهو ما يعرف بـ"المواطنة الرقمية".

فالمواطنة الرقمية تعبر من معايير السلوك المرتبط باستخدام التكنولوجيا، وتضع معايير وقائية تحد من أخطار التكنولوجيا الرقمية، وتحدد سياسات الاستخدام المقبول لها، وبالتالي تمكن الأفراد من الحياة بأمان في العصر الرقمي.

ويشهد العالم اليوم نهضة علمية عظيمة، وتقدماً في مجال الاتصالات وتقنية المعلومات بشكل أصبح معه التطور العلمي والتقني مقياساً للتنافس الدولي نحو التنمية الشاملة، فقد واكب هذه النهضة السريعة والمتلاحقة في المجال التقني توجّه عالميّ نحو التعلّم الإلكتروني؛ إيماناً بأهميته وللاستفادة من مزاياه وتطبيقاته التفاعلية المتنوعة في مجال التعليم وصناعة المعرفة؛ وكذا لتحقيق أهداف المنظومة التعليمية، وتلبية احتياجات المتعلّم الذاتية، وتأهيله للتعامل مع متغيرات الحياة العصرية، كما أحدث استخدام الإنترنت وتطويره تغييرات كبيرة في مجال التعليم، ولهذا أصبح من الضروري أن نفحص كيف تؤثر هذه البيئة المتغيرة في رفاهية الأطفال ونموهم وحقوقهم، و هو ما يتطلب توفر مداخل تعزّز محو الأمية الرقمية والمرونة والذكاء الرقمي للتأكد من أنّ جميع الأطفال آمنين عبر الإنترنت.

وجدير بالذكر أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تستخدم على نطاق واسع في الحياة اليومية، ولها تأثير كبير في السلوك، وهو ما برز معه في الوقت الحاضر مفهوم المواطنة الجديدة كنتيجة لاستخدام مكثف للتكنولوجيا.

ولكي ننهض بمستوى المواطنة الرقمية تضع الدكتورة آمال عتيبة بعض الحلول من أبرزها: ضرورة نشر ثقافة "المواطنة الرقمية" في المجتمع، من خلال تدريس مبادئها ومهاراتها للطلاب في المدارس، ضمن منهج متكامل للتربية الرقمية، بالإضافة إلى إطلاق الحملات والمبادرات القومية لتوعية المواطنين في وسائل الإعلام التقليدية والجديدة ووسائل التواصل الاجتماعي وتنظيم ورش عمل وتدريبات متخصصة للشباب على مهارات "المواطنة الرقمية" الأساسية .كما يحتاج قادة التربية والتعليم إلى فهم أهمية المواطنة الرقمية كأساس للذكاء الاجتماعي الرقمي، ويجب عليهم أن يجعلوا من أولوياتهم تنفيذ برامج المواطنة الرقمية كجزء من إطار التعليم الشامل، وتحمل مسؤولياتهم في تيسير سبل تنمية مهارات المواطنة الرقمية. وأخيراً ضرورة أن يوظف الأستاذ الجامعي مهارات المواطنة الرقمية ويربي الطلبة على ثقافة المواطنة الرقمية بحيث تتضمن إستراتيجياته وأنشطته التدريسية ووسائل التقويم وأساليبه فرصا للتقويم الشامل والمتكامل؛ بهدف تقديم التغذية الراجعة التي تعطي الطلاب فهماً أفضل لنقاط قوتهم وضعفهم في استخدام التكنولوجيا الحديثة، حتى يتمكنوا من العثور على طرائقهم الخاصة لتحقيق النجاح.

العناصر التنموية

وعن دور الجامعات في التنمية الاقتصادية يوضح الأستاذ الدكتور يحيى صالح أبو حاتم، نائب رئيس

جامعة العلوم الحديثة بالجمهورية اليمنية، أن الجامعات هي المصدر الأساس للتنمية الاقتصادية في أي بلد، والتحصيل الجامعي في هذه الجامعات أهم ركائز التنمية؛ وكذا وجود طالب مؤهل يمتلك مهارات معرفية وكفايات أدائية عالية تؤهله للنهوض بالاقتصاد الوطني من خلال المعرفة التي استقاها أثناء الدراسة الجامعية، وكون الاقتصاد الوطني يقوم على المورد البشري؛ فإن هذه الجامعات هي من تقوم على تأهيله وتعليمه وتزويده بالمعرفة الكافية، فهي بذلك تقوم برفد القطاع الاقتصادي بالكادر البشري المؤهل، وهو أهم عنصر من عناصر التنمية، وباستطاعته النهوض بالقطاع الاقتصادي.

ويضيف أبو حاتم: تقع على عاتق الجامعات مسؤولية كبيرة في مواكبة التطورات والتقلبات الاقتصادية التي تحصل في البلد، حيث تقوم بدراستها وعمل الأبحاث المتخصصة للوصول إلى حلول لهذه المشكلات، ووضع المقترحات والتوصيات للحد من تفاقمها أو تكرارها، وتشجيع وتحفيز الابتكار والإبداع، وتطوير مخرجات البحث العلمي، واحتضان المشاريع والمبادرات الإبداعية، كضرورة مجتمعية لبناء الأوطان وتعزيز قوتها ومكانتها العالمية والحضارية. وفي ضوء الأبحاث الجامعية يتم وضع الآليات والاستراتيجيات، ورسم السياسة الاقتصادية للدولة. وتقوم الجامعات بربط الأبحاث العلمية باحتياجات قطاع الإنتاج الاقتصادي والخدمات، كما أنها تقوم بدراسة احتياجات سوق العمل من خلال عمل الإحصاءات والقيام على تحليلها، وعليه يتم توجيه التعليم بما يلبي سوق العمل، وذلك من خلال تطوير المقررات والمناهج والعمل على فتح برامج وتخصصات جديدة من شأنها رفد المؤسسات الاقتصادية بالخبرات المتجددة والمتطورة بتطور العلم الحديث والصناعات الحديثة، وتقوم بالبحث عن تخصصات جديدة ونوعية، ومعرفة ما تم التوصل إليه من تطور علمي، وتكييفه بما يتناسب مع مجتمعاتنا، والعمل لضمان قابلية تطبيقه في الظروف المحلية، وبهذا فإنها سترفد سوق العمل بكوادر مسلحة بالعلم والمعرفة من التخصصات الفريدة التي تساهم في التقليل من نسبة البطالة في المجتمع، والتي قد تشكل عبئا عليه.

ويلخص نائب رئيس جامعة العلوم الحديثة إلى أن كل ذلك دعا الجامعات إلى القيام بتطوير مناهجها وفق أحدث المناهج والخطط الدراسية، ووفق المعايير الدولية للاعتماد الأكاديمي والجودة، لكي تكون مخرجاتها قادرة على ترجمة ما تم تعلمه وتوظيفه في تنمية المجتمع، وحل مشكلاته بأحدث الوسائل العلمية المتطورة والحديثة، بعيداً عن الأسلوب التقليدي في إلقاء المحاضرات النظرية التي تعتمد على تلقين المعلومات دون تطبيقها.

ويضيف: من هنا نقول إن للجامعات دوراً كبيراً في حل المشكلات المحلية التي قد تطرأ على المجتمع، من خلال تبني إعداد بحوث علمية تطبيقية لدراسة هذه الحالات والعمل على إيجاد الحلول لها، وتقديم التوصيات والمقترحات للقائمين عليها؛ لضمان عدم تكرارها، وتعميم مخرجات الأبحاث لتحقيق الأهداف المأمولة، أضف إلى ذلك الاستشارات العلمية التي تقدمها الجامعات لمؤسسات المجتمع.

ويختتم: في هذا الإطار، يتم في هذه الجامعات تأصيل الهدف الأسمى والنبيل، وهو غرس حب المواطنة والوطن، كون المحور الأساس في مهام الجامعة هو الطالب، فإنها تقوم بتدريبه وتعليمه التعاليم الإسلامية الحقة، بعيداً عن الغلو والتطرف، وحثه على تحمل مسؤولياته والعمل بروح الفريق الواحد، من خلال ما تكلفه به من مهام وواجبات وأبحاث جماعية.

ضوابط شرعية
لتجديد الخطاب الإسلامي المعاصر

الدكتورة آمال محمد حسن عتيبة
جامعة أم القرى

الخطاب الإسلامي هو الآلية المعبرة عن الرؤية الإسلامية بكافة مضامينها وأشكالها وأساليبها، وهو أداة للتعارف مع الآخر المخالف في العقيدة من أجل التواصل الحضاري بين الشعوب والأمم؛ قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" [الحجرات:١٣].

ولأهمية الخطاب الإسلامي فإن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله الكريم بأن يجاهد الكافرين بالقرآن؛ لكي يقيم عليهم الحجة والبرهان؛ فقال تعالى: "فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا" [الفرقان:٥٢]. ولأهمية الخطاب الإسلامي كذلك فإن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رفع من شأنه إلى درجة الجهاد؛ فجعله صنو الجهاد العسكري والمادي؛ فقال عليه الصلاة والسلام: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم" (أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والإمام أبو داود في سننه).

وفي ظل الظروف الحضارية السائدة اليوم، وفي ظل ما يواجهه الإسلام من تحديات، وفي ظل المحاولات الرامية إلى تغريب شباب الأمة الإسلامية، وزعزعة العقيدة في نفوسهم، وفي ظل ضعف مواكبة الخطاب الدعوي • في كثير من الأحيان- على مواجهة هذه التحديات بالصورة المناسبة؛ فإن الحاجة تتعاظم لتجديد الخطاب؛ خاصة في هذه المرحلة المهمة من حياة الأمة.

وتمثل أيضاً الأحداث المتسارعة في عالمنا، دعوة صريحة، ومتجددة، لتجديد الخطاب الإسلامي؛ ليتمكن من مسايرة عوامل الزمان والمكان مستلهمًا ومستشهدًا بالتعاليم والمبادئ والقيم الإسلامية. ولا شك أن الاجتهاد والتجديد في هذا المجال من الأهمية بمكان؛ باعتبار أن الاجتهاد من المقومات الأساسية التي حفظت للشريعة حيويتها وللفقه الإسلامي مرونته، ومن ثم صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، ولقد برز دور المجددين الذين يظهرون في كل عصر حتى يجددوا للأمة دينها، ويخلصوه مما شابه من البدع والخرافات.

المقصود بتجديد الخطاب

تنوعت عبارات العلماء في تعريف التجديد، وتعددت صيغهم لكنها لم تخرج عن محاور ثلاثة:

-إحياء ما انطمس، واندرس من معالم السنن ونشرها بين الناس، وحمل الناس على العمل بها، وقمع البدع والمحدثات وتعرية أهلها وإعلان الحرب عليهم، وتنقية الإسلام مما علق عليه من أوضار الجاهلية، والعودة به إلى ما كان عليه زمن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام، وتنزيل الأحكام الشرعية على ما يجد من وقائع وأحداث، ومعالجتها معالجة نابعة من هدي الوحي، انظر (عدنان محمد أمامة: التجديد في الفكر الإسلامي).

والفهم الصحيح لتجديد الخطاب يقضي بتجديد شكله وأسلوبه، الذي قد يتغير بتغير الأحوال مع الحفاظ على الثوابت التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ولا تتبدل بتبدلهما، ولا يُتصور أن تكون أصلًا محل اجتهاد، وهي الدين الإسلامي بكامله وبكل جزئياته؛ فمواكبة الخطاب الإسلامي وتجديده لا يعني المساس بالعقيدة الإسلامية أو بثابت من ثوابت الإسلام، أو الخروج عن آية قرآنية أو حديث صحيح. كما أن تجديد الخطاب الدعوي ليس المقصود به تغيير معالم الدين، فالإسلام هو الدين الذي كتب الله عز وجل له البقاء وارتضاه للبشرية جمعاء من لدن آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة، وتمامه وكماله صفتان لازمتان له، كما قال تعالى: ﴿... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ...﴾ [المائدة:٣]. ومن الجدير بالذكر أن حاجة الخطاب الإسلامي للتجديد تحتم معه الارتباط بالأصل، فبالارتباط بالأصل الديني تبرز خصوصية الأمة، علمًا بأن التجديد منوط بالخطاب لا بالإسلامي، فالخطاب وأسلوبه هو الجانب المتغير بتغير الأحوال، وتتأثر كيفية أدائه بفقه الواقع، والإسلام هو الجانب الثابت؛ فالثابت يحمي المتغير من الفوضى والانفلات، والمتغير يعطي الثابت المرونة.

ولقد أجمعت الكثير من الدراسات والبحوث على أن التجديد لا بد وأن تضبط حركته بموازين وحدود حتى لا يخرج عن مساره الصحيح. وكذلك أكد التويجري أن: "التجديد لن يكون ذا موضوع، إلاَّ إذا حكمته ضوابط الشرع والعقل معاً؛ فالدين لا يتجدد، ولكن فهم الناس للدين يتجدد، وحياتهم تتجدد، وتفسيراتهم وتأويلاتهم لأحكام الشريعة تتجدد هي الأخرى، وشتان بين نصوص الدين كما أنزلها الله تعالى، وبين فهم الناس لها، وتعاملهم معها، لأن آفة الانحراف عن سواء السبيل تأتي من خلل أو انحراف في الاعتقاد، أو شطط وغلو في التطبيقات والعبادات، أو تطرف وتشدد في الأفعال والممارسات".

والمقصود بالضوابط: مجموعة القواعد والشروط الواجب مراعاتها في تجديد الخطاب، والتي تضبط حركة العقل والانفعالات لدى الإنسان فتأتي النتائج إيجابية، بعيدة عن الانحرافات الفكرية والتصورية التي تخالف الشريعة الإسلامية ومقاصدها. ولعل من أبرز الضوابط ما يلي:

أولاً: العلم بحكم الشرع في المسألة ومراعاة الاختصاص

فشأن المعرفة بالإسلام كعلم هو أرفع العلوم وأعظمها نفعًا، وأجلها شأنًا وقدرًا، وعلو شأنه ومكانته يأتي من كونه يتعلق بالشارع الحكيم سبحانه وتعالى، هذا بالمقارنة بالتخصصات العلمية الأخرى من طب وهندسة وكيمياء وفلك، مع أن التخصصات الأخيرة يشترط للمتحدثين باسمها أن يكونوا من أهل اختصاص في هذه الفنون أو العلوم. فهذا المبدأ شرط بدهي بل وأساس لأهل هذه التخصصات، والمقصود ألا يفتي في كل تخصص إلا أهله، وإلا صارت "فوضى"، فكيف بأرفع هذه العلوم وأعظمها، وأصل كل ثقافة، ألا يستوجب أن يكون أعظم حرمة من هذه التخصصات؟! والإسلام قد أقر هذا المبدأ - مبدأ الاختصاص - بل واعتبره مطلبًا شرعيًا وعقليًا،

يقول الله تعالى: ﴿... فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡـلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُـونَ﴾ [النحل:٤٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُـولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَـوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُـمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّـيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيـلٗا﴾ [النسـاء:٨٣].وقال تعالى أيضًا:﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُـونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَـةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِـمۡ لَعَلَّهُـمۡ يَحۡـذَرُونَ﴾ [التوبـة:١٢٢]. فالتجديد مهمة الراسـخين في العلم، وأهل الحل والعقد في الأمة، عبر المجامـع والمؤتمرات العلمية الجامعة. وهذا لا يتحقق إلا بمعرفة الأدلة إجمالاً وتفصيلاً، ومعرفة طرق دلالتها على الأحـكام، ومعرفة كيفية الجمع بينهـا عند التعارض الظاهـري، وبالضرورة لا يكون ذلك متوفرًا إلا لأهل الاختصاص.

ثانياً: الموضوعية والتجرد من الهوى

إن آراء أهـل العلم فـي الأمور غيـر الثوابت قابلة للنقـاش، والموضوعية في التصور الإسـلامي هي البحث عن الحقيقة سواء اتفقت مع ميول الباحث أم لـم تتفق، والتمسـك بالحق بعيـدًا عن الأهواء الباطلـة، والمزاعم الفاسـدة؛ كالكبـر والمذهبية والتقليد وغيرها، وتتم في ثلاث خطوات:

أ- استهداف الحقيقة: فالمسلم مطالب بأن يطلب الحق ويبحث عـن الصواب، وذكر الغزالي: "ينبغي أن يكون طالب الحق في طلبه كناشد الضالة لا يفرق بين أن تظهر على يده أو على يد غيره، وهكذا كانت مشاورات الصحابة".

ب- الانطلاق من الحق بجعله المعيار الذي يسـعى في عملـه على أساسـه، ويزن الأمـور بميزانه دون الأهواء والشهوات والرغبات الشخصية، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّـذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيـزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيب﴾ [الشورى:١٧].

ج- الأخذ بالحق دون مراوغة أو اكتفاء بما يوافق الهوى منه، أو الوقوف عند حد الاعتـراف النظري به. وقد مدح الله سـبحانه أولئك الذين التزموا الحق حينما عرفوه، فقال سـبحانه: ﴿وَإِذَا سَـمِعُواْ مَـآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُـولِ تَـرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡـعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَـقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [المائدة:٨٣]. كما ذم الذين يكتفون من الحق بما يوافق أهواءهـم، وبين أن ذلك يعد إهمـالاً للحق كله.قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُـلِهِۦ وَيَقُولُـونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡـضٖ وَيُرِيـدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَـبِيلًا ١ أُوْلَٰٓئِكَ هُـمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَـا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗـا مُّهِينٗا﴾ [النسـاء:١٥٠-١٥١]. وكذلك ذم الذين يعرفون الحق ولكنهم يكتمونه ولا يطبقونه فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦]. وكان الصحابة رضي الله عنهم رجّاعين إلى الحق إذا عرفوه، متراجعين عن الخطـأ إذا بُين لهم، ولا يحول بينهم وبين ذلـك مكانة اجتماعيـة أو رأي خاطئ قالوه سـلفًا، أو دونية من جاءهـم بالحق. ومن هنا يتبـين أن هذا الضابط من أهـم الضوابط اللازمة لتجديد الخطاب الدعوي وإعـادة التصور الصحيح، والفهم السليم للمبادئ والأصول الإسلامية؛ وذلك لأنـه ضابط إيماني أخلاقي تربـوي، ضابط من داخل النفس لا من خارجها، فهـو قبل كل ضابط، وفوق كل ضابط، إنه التجـرد لطلب الحق؛ بمعنى أن يكون الاهتداء إلى الحق المجـرد نصب عيني الداعي، وقبلة عقله وضميره، وغاية غاياته في سعيه.

ثالثاً: الاعتصام بالأصول والثوابت الإسلامية

إن أصول الدين وثوابته لا تقبل التجديد بأي حال من الأحـوال، وأي تجديد يتناول شـيئًا منها لا اعتبار له لمخالفته للشريعة الإسلامية، كالتجديد الذي يبيح الربا، ويرفض الحجاب، وإقامة الحدود والشـرائع. وإذا كان هناك تجديد في الأصول والثوابت الإسـلامية من منظور الإسـلام، فإنـه التجديد الـذي يحيي

الأصول ويعيد الحيوية إلى الثوابت، بل هو السبيل لامتداد تأثيرات ثوابت الدين وأصوله إلى جوانب الحياة المختلفة. والإسلام بما أنه دين لكل زمان ومكان، يشتمل على ثوابت ومتغيرات، وأنه في حال الثوابت جاء بتحديدات ومفاهيم ثابتة خالدة لا تتأثر بتقلبات الزمان، ولا بتطور الأحوال والعادات، وهي قابلة للتطبيق في عصرنا الحاضر، كما كانت مطبقة من قبل. فلا بد من الالتزام بمصادر الفكر الإسلامي ومنهجه؛ وذلك بعدم الإخلال بالقواعد والأصول المتفق عليها والقطعية منها في أصول الفقه، واحترام القواعد الفقهية الاجتهادية التي تعد أداة التواصل بين النصوص الثابتة، والمصالح المتجددة. وهذا يعني الرجوع إلى الإسلام الحق الموجود بثوابته السليمة في الكتاب والسنة وبتطبيقه السليم في أعمال الصحابة والسلف الصالح.

ومن ثوابت الدين التي لا تقبل التجديد ولا التغيير هي العقيدة الإسلامية، وأركان الإسلام الخمسة، وكل ما ثبت بدليل قطعي من المحرمات كالزنى والربا وشرب الخمر، وأصول الأخلاق بجانبيها، وهذا يشمل ما يتعلق بعلاقة الإنسان بربه كالإخلاص، والخوف من عقابه، وما يتعلق بالإنسان وأخيه الإنسان من صدق ووفاء ورحمة وبر وإكرام، وكذا ما ثبت بنصوص قطعية في أمور الشريعة والحدود والقصاص والمعاملات، وأمور الأسرة من زواج وطلاق وإرث. فهذه الأصول والثوابت من أهم الضوابط التي ينبغي الاعتصام بها والمحافظة عليها في الإطار التجديدي للخطاب الإسلامي الدعوي. ومن المعلوم أن هذه الأصول، والنصوص القطعية "دلالة وثبوتًا" ما يتعلق بالمحرمات وغيرها، لا تتعارض مع اليقيني الثابت من العلم، ولا مع المصالح القطعية للناس حتى تدخل في الإطار التجديدي.

والالتزام بمنهج الإسلام والاعتماد على النصوص الموثقة ضرورة وضابط مهم، لأن الإسلام له منهجه الخاص، ولا بد من الالتزام به، وعدم التأثر بغيره، سواء في تطبيقاته التفصيلية أم روحه العامة، فلا يجوز أن نستعير من خارج الإسلام منهجًا نعتمد عليه في التجديد.

رابعًا: الجمع بين الأصالة والمعاصرة

ويقصد بالأصالة المحافظةُ على جوهر الدين؛ باستنادها إلى الأصول والأدلة الشرعية، والتمسك بمبادئها الأساسية. ويدخل في هذا الضابط عدم إغفال ما أتى به السابقون واللاحقون، فمن رام التجديد فلا يجوز له أن يتجاوز جهود السابقين بما يخدم العصر، فيعتمد على ما جاء به الأوائل وما بحثه الأقران والمحدثون، بل إن الجمع بين ما هو أصيل ومعاصر هو حلية التجديد وزينته، وميزة هذا الجمع الاتصال بين الماضي والحاضر ومراعاة التدرج والتطور للنظريات والأفكار.

خامساً: الاعتراف بمحدودية العقل البشري (تقديم الوحي قبل العقل)

فالعقل الذي أودعه الله في الإنسان يجب أن يتوافق مع الشرع مئة بالمئة، وذلك لأن الشرع من عند الله، والعقل مقياسٌ أودعه الله فينا، والفرعان إذا اتّحدا في أصل واحدٍ فلا بد أن يتوافقا، فلا يعقل أن يعطينا الله مقياسًا لو أعملناه في وحيه وجدناه غير صحيح. فمن المحال أن يتعارض العقل الصريح الواضح مع النقل الصحيح الثابت، والسبب في ذلك سبب منطقي، وهو أنّ الذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل، ومن المحال أن يرسل إليه ما يفسده. فالعقل البشري محدود بإطار الزمان والمكان ومكتسباته المعرفية، وعلى قدر ذلك تكون طاقته، ومن المحال أن يحل العقل البشري محل الوحي السماوي. فهناك من الأمور ما هو فوق طاقته وخارج عن حدوده، وأي خوض فيه إنما هو تخبط لا يجني العقل من ورائه إلا الشقاء والضلال؛ وذلك لأن العقل الإنساني مقيد

بإطار الزمان والمكان الحسيين، والنشاط العقلي لا يتجاوز بمفرده دائرة الكون المحسوس؛ لأنها خارج نطاقه وقدراته ولهذا يجيء الوحي الإلهي ليكمل للإنسان دائرة المعرفة فيخبره بما هو خارج عن قدراته من عوالم الغيب المختلفة. وقد أخبرنا الوحي عن العوالم الغيبية من حيث بيان صفاتها وآثارها، ولم يخبرنا عن كنهها وجوهرها، ولذلك كانت معرفة الكنه والذات فوق طاقة العقل البشري، قال تعالى عن الروح: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]. وقال عن الساعة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧].

وإذا كان الإسلام قد حجب العقل عن معرفة الكنه والجوهر في الوجود الغيبي، فإنه قد دفعه إلى تعقله عن طريق المعرفة بآثاره وصفاته، كما دفعه إلى نصب الأدلة والبراهين المثبتة له، وفرق كبير بين العلم بكنهها وجوهرها، وما أكثر الأمور التي نؤمن بها ولكننا لا نعرف كنهها كالعرش والكرسي والميزان والصراط وغير ذلك من عوالم الغيب. والقدر الذي أوقفنا الإسلام عليه في هذا الجانب الاعتقادي هو كافٍ في مجال المعرفة الإنسانية بهذا العالم، وأي تزايد على ما أخبر به الوحي هو تنطع في الدين، وشرود بالعقل في غير مجاله ولن يعود بفائدة على الإنسان. كما أن أي تأويل لهذه الأمور الغيبية إنما هو خروج بها عن حقيقتها وتجاوز واضح للعقل يفضي إلى تحريف الدين وتبديله لا تجديده، وتعدٍ سافر على دائرة الوحي والتشريع لا يحصد العقل من ورائه إلا الحيرة والاضطراب.

إن مراعاة هذا الضابط في التجديد إستلزم الإذعان الكامل لنصوص الوحي الصحيحة من القرآن والسنة، وتقديم هذه النصوص على العقل أو ما يراه العقل، فيصبح النص أو الوحي هو المقدم في المنزلة على العقل، وذلك لعدم إحاطة العقل الكاملة بكنه الأشياء وجوهرها، فما خالف العقل فيه الوحي فيجب أن يكون حق العقل هنا هو التأخير، لأن العكس- بتقديم العقل على الوحي- يؤدي حتمًا إلى إنكار الغيبيات أو تأويلها بما يخرجها عما أراده المشرع.

سادساً: أن يكون القصد من التجديد إصلاح ما انحرف من الفكر الديني

إن مهمة الإصلاح والتجديد تلي في المنزلة عمل الأنبياء والمرسلين، في بناء الإنسان وإعادة تشكيل هيكله الفكري والثقافي عن الدين والكون والحياة، فليس التجديد ترفًا فكريًا بل رسالة أعظم خلق الله، بيد أن الفارق الجوهري بين مهمة الأنبياء ومهمة المصلحين والمجددين، أن مهمة الأنبياء جاءت لإرساء القيم التي عانت المجتمعات من خلوها وندرتها، ثم التعامل الأمثل مع هذه القيم، أي إنه كانت هناك أزمة في القيم وأزمة في التعامل معها كما نلمس ذلك في قراءة آيات قصتي شعيب ولوطٍ عليهما السلام. أما دور المصلحين والمجددين فليس في جلب القيم الجديدة، وإنما في الإبقاء على القيم التي جاء بها الأنبياء مع التوظيف الأمثل لها وتطبيقها على المجتمع.

فليست المشكلة مشكلة قيم أو أزمة قيم، التي أكملها الله وتعهد بحفظها في الكتاب والسنة، وإنما المشكلة في التعامل مع القيم، والإنتاج الفكري الذي يجسد العلاقة بين هذه القيم بمنطلقاتها وأهدافها وبين العصر، ويسهم باستصحاب الرؤية القرآنية، ويدرك عالم الخلود في الرسالة الإسلامية، وقدرتها على العطاء المتجدد المجرد عن حدود الزمان والمكان لحل المشكلات البشرية، وهذه وظيفة الفكر؛ لذا فمراعاة هذا الضابط، وتحديد مفهومه وعدم الخلط بين إصلاح الفكر وإصلاح القيم التي جاء بها الوحي من الضروريات المهمة للنهوض بالعملية

التجديدية للخطاب الدعوي، وإقامة البناء المعرفي والثقافي للأمة الإسلامية ومن ثم إعادة الدور الحضاري لها.

سابعاً: الالتزام بأساليب اللغة العربية وقواعدها في تفسير النصوص الدينية وتأويلها

فاللغة العربية هي لغة الوحي، والقرآن كتاب الله المنزل على سيدنا محمد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بواسطة الأمين جبريل عليه السلام نزل بلسان عربي، قال تعالى: «وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ. نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ» [الشعراء:١٩٢-١٩٥]. ونحن متعبدون بلفظه، وكذلك السنة جاءت بهذا اللسان العربي. فالله تعالى اختار اللغة العربية وعاء للدين لما فيها من مزايا وخصائص تمتاز بها عن اللغات الأخرى. وإعجاز القرآن الكريم في كيفية صياغة هذا الفكر الراقي بهذه اللغة العربية الراقية بنحو راق لا يرقى إليه ولا إلى أي شيء منه بشر، لذلك كانت اللغة العربية أساس من أسس الخطاب الإسلامي.

ويجمع العلماء على أن اللغة العربية من أقوى اللغات على استيعاب متطلبات النمو الحضاري لتضمنها الكثير من الأساليب البلاغية والبيانية التي تصمد أمام التحديات والمتغيرات على مر الأزمان والعصور. وهي ليست مجرد وسيلة للتعبير عن أغراض الناطقين بها فقط، بل هي جزء من الدعوة الإسلامية.

ولهذا كان بيان معاني النصوص الدينية باتباع أساليب وقواعد اللغة العربية ومناهجها في التعبير والتصوير والدلالة على المعاني، أمرًا ونهيًا إثباتًا ونفيًا تخصيصًا وتعميمًا وصلاً وفصلاً حقيقة ومجازًا، مع التفقه في أسرار ذلك كله وأساليبه المتنوعة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من ألزم الضوابط في الإطار التجديدي للخطاب الإسلامي؛ حتى يكون التجديد بعيدًا عن الهوى أو الجهل والتأويل العبثي للنصوص.

ولكن هذا لا يمنع أن يتعلم الداعية فوق تمكنه من اللغة العربية – تمكنًا تامًا –، بعض اللغات الأخرى ويتقنها أيضًا حتى يحدث الناطقين بغيرها بلغتهم فيفهمونه ويفهمهم وينقل إليهم رسالته بيسرٍ وسهولة.

ثامناً: عدم الاعتماد على نص واحد في الحكم، وإغفال بقية النصوص الدينية التي وردت فيه

من المسلم به أن الباحث المنصف لا يستطيع الوصول إلى الفهم الصحيح والتفسير الصائب لنص مقتطع من نسق فكري كامل دون مراعاة المجموع، أو تبيين الدلالة المستفادة من نص مروي دون بحث عما يرتبط به من نصوص تقيد إطلاقه أو تخصص عمومه أو تزيل ما يلابسه من خفاء أو إشكال، إلى آخر ما هو مقرر لدى أهل هذا الشأن. فمثلاً هناك من يتهم الإسلام بأنه دين قتال، وأنه انتشر بقوة السيف واعتمدوا على بعض نصوص الوحي المطلقة، وفسروها منفصلة عن بقية الآيات المقيدة، واستندوا في زعمهم إلى الآيات التالية، قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ» [التوبة:١٢٣]. وقوله تعالى: «لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ» [آل عمران:٢٨]. وهي آيات مطلقة تفهم في ضوء قول الله سبحانه: «وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ» [البقرة:١٩٠].

وهناك من يحاول أن يثبت أن الإسلام خاص بالعرب وحدهم، وأنه دين جنس معين كاليهودية أو النصرانية، وذلك حتى يوقفوا المد الإسلامي

في دول العالم المختلفة، واستندوا إلى نص الوحي في قول الله عز وجل: «هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ» [الجمعة:٢]. وقوله تعالى: «وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ» [الشعراء:٢١٤]. وقوله تعالى: «... لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ...» [الشورى:٧]. فأم القرى هي مكة، ومن حولها هي القبائل والبوادي المحيطة بها، فرأوا بذلك أن الدعوة خاصة بالعرب غافلين عن نصوص كثيرة قررت عالمية هذا الدين، كقول الله عز وجل:(وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ) [سبأ:٢٨]، وقوله: «تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا» [الفرقان:١]. وغير ذلك من الآيات. ومن المعلوم لدى علماء التفسير أن المطلق يحمل على المقيد إذا ورد في قضية واحدة، وذلك لأن القرآن يفسر بعضه بعضًا.

تاسعاً: وجوب التزام الدعاة منهاج الوسطية والاعتدال في الدعوة

إن منهاج الوسطية، هو أعدل المناهج في نشر دعوة الإسلام، والحفاظ على تماسك المجتمع المسلم، والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. وفي العصر الحالي تبدو حاجة المجتمع ماسة إلى جهد الدعاة في الدعوة إلى الله، حفاظاً على الدين، وعلى أحكام الشريعة والأخلاق الإسلامية التي يتعامل الناس بها في المجتمع. ومع هذه الحاجة كثرت وسائل الإعلام بالدعوة وزادت منابرها، وعلا صوتها، وبرزت مشكلات تحتاج للمزيد من العناية والمراجعة من العلماء والدعاة.

ومن أهم المشكلات التي تواجه الدعاة في هذا العصر: مشكلة الغلو في الدين، والتطرف والانحراف عن منهج الوسطية الصحيح. إن بعضاً من الشباب، لا سيما من تقل معرفتهم بالأحكام الشرعية، تدفعهم حماستهم ورغبتهم في خدمة الإسلام، إلى الانضمام إلى أية جماعة تعلن على الناس أنها تقوم بواجب الدعوة إلى الله، وتتعاون في سبيل ذلك مع من ينضم إليها. ويقبل هؤلاء الشباب أحياناً على هذه الجماعات، دون أن يتبينوا حقيقة أهدافها، ودون أن يكون لديهم معرفة كاملة بصلاح من يوجهون أمورها وعدالتهم، وكذلك دون أن يتحققوا من أسلوبها في تبليغ كلمة الله إلى الناس.

وقد دلت المشاهدة والتجربة في الكثير من البلاد الإسلامية على وجود أهداف خفية وراء ممارسة بعض المناشط الدعوية. وقد تكون هذه الأهداف سياسية أو مذهبية منحرفة، وقد يكون فيها خروج على المسلك الصحيح الذي يجب أن يسلكه المسلم تجاه مجتمعه الذي يعيش فيه، وأولي الأمر الذين ينهضون بمصالحه، وغير ذلك. والشباب مطالب بأن يتحرى الأمور قبل أن يبذل من إخلاصه وجهده وماله في مكان أو تجمع أو جماعة لم يتحقق من عدالة من يتولون أمورها، ويتبين اتفاق أسلوبها الدعوي مع منهاج رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن العلم طريقها والعلماء الصادقين هم القائمون بها على بصيرة وهداية قال تعالى: «قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ...» [يوسف:١٠٨]. هكذا كانت سنة النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، والمصلحين من الدعاة. فإن منهج الإسلام وسط بين من يحبون الدنيا ويزرون الآخرة، وبين من يعتزلون الدنيا كلها.

وهو وسط بين الإفراط في حكم الشرع أو التفريط فيه، يقول صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا تشدِّدوا على أنفسكم فيشدِّد اللهُ عليكم فإنَّ قومًا شدَّدوا على أنفسهم فشدَّدَ اللهُ". (أبو داود، د.ت، ٤/ ٤٢٨)، ولذا فإن على العلماء والدعاة إلى الله، أن يبرزوا معالم المنهج الوسط وأن يخاطبوا الناس بمنهاج الوسطية في كافة أمور الدين علماً أو إفتاءً أو دعوة؛ لأن الدين في أصله يرفض الغلو والتطرف في كل جوانبه.

المئذنة
وعالمية الحضارة الإسلامية

بقلم أ.م.د. محمد أحمد عبدالرحمن عنب
أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية، كلية الآثار، جامعة الفيوم

ارتبطت صفة العَالمية بالحَضارة الإسلامية من حيث انتشار وَرواج مَظاهر حَضارية مَادية وَرُوحية لها في شَتى بِقاع العَالم؛ وتُعتبر المئذنة وَاحدة من أشهر العَناصر المعمارية في المَساجد التي تَعكس هَذه الصفة. وَالمئذنة هي ذَلك الإنشاء المُخصّص لِلمُناداة بِالأذان، وَالأذان يُمثل وَاحداً مَن أهم خَصائص عَالمية الإسلام وَالحَضارة الإسلامية؛ فَهو يُرفع عَلى مَدار أربع وَعشرين سَاعة خِلال اليوم وِفق قَارات العَالم جَميعًا، ليس فقط بِلُغة وَاحدة وَهي العَربية بَل وَبصيغة وَاحدة غَالبًا، وتَنتصب المَآذن التي يَصدر من فَوقها الأذان في كُل مُدن العَالم الإسلامي صَاعدة نَحو السَماء، تُشكّل المَعلم البَصري الأبرز الذي يَصدح بِالهَوية الدينية وَالحَضارة الإسلامية وَمعمارها الديني المُميَّز.

المِئذنة والأذان

من الثَابت أن الأذان جَاء قَبل المئذنة، وَأنّ الأخيرة كَكيان معماري أخذت اسمها من الأذان، فَالأصل هُو الأذان، وَكَلمة الأذان في اللغة تعني الإعلام، وَأصلها من كَلمة أَذن بالأمر؛ أي أَباحه وَأَطلق فعله، وَالإذن هُو الإعلام بإجازة الشَيء مصداقًا لِقَوله تَعالى في سُورة النور آية ١٨: (فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ)، أمّا المُصطلح الديني لِلأذان هُو الإعلام بِدُخول وَقت الصَلاة بِألفاظ مُخصّصة، وَالهَدف الأَسَاسي هُو إعلام المُسلمين بِمَواقيت الصَلاة في الليل والنَهار، وَقد وَرد في الحَديث النَبوي مَا يُبين فَضل الأذان وَالمُؤذنين في مَواضع عِدة، فعَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، أمّا المئذنة فَهي مَوضع إعلاء هَذا الأذان لِلصَلاة، أو بِمَعنى آخر هي البِناء المُرتفع الذي يَرتقي إليه المُؤذّن لِيُعلن دُخول أوقات الصَلوات الخَمس، فَالمَآذن عَلامة مُميّزة لِمُرتادي المَساجد عَلى الاستدلال عَلى مَواقعها بِسُهولة.

مُسميات عَدة لِلمِئذنة وَالمَعنى وَاحد

تَتعدّد مُسميات المئذنة، وَقَد استُعملت ثَلاثة تَعابير مُختلفة لِلدَلالة عَلى المئذنة هي: المِئذنة وَالصَومعة وَالمَنارة، وَجَميعها تَدل عَلى الشيء نَفسه، وَجَاء اختلاف الاسم نَتيجة اختلاف الأَقاليم، فقد اشتُقت الكَلمة الأولى (المِئذنة)

من الأذان؛ وتعني المَكان الذي يَنطلق منه الأذان، أمّا الكَلمة الثَانية (الصَومعة) فقد اشتُقت من الكَلمة (صَمَع) وصَمَعَ البناء أي أعلى فيه وَجَعل لَه ذروة؛ وَقَد شَاع إطلاق كَلمة الصَومعة خَاصة في شَمال إفريقيا، أمّا الكَلمة الثَالثة (المَنارة)؛ فَقد ارتبطت بمَناطق شَرق العَالم الإسلامي، وَكَان انتشارها في الشَرق وَالأناضول سببًا في انتقالها إلى اللغات الأوروبية، فَقد أخذت هَذه الكَلمة أساسًا من اللغة العَربية، ثُم انتشر هَذا الاسم في لُغات عَدة أهمها اللغة الإنجليزية إلى كَلمة (Minaret).

نَشأة المِئذنة وَظهورها

في الحَقيقة لَم تَعرف المَآذن في عَهد الرَسول صلى الله عليه وسلم؛ وَكَان الأذان يَتم من فُوق الأسطح؛ وَيُعتبر بلال بن رَباح أوّل مُؤذِّنٍ في الإسلام؛ وَكَان الرَسول صلى الله عليه وسلم يأمره لِيَرفع نِداء الحَق سبُحانه وتعالى، ومَقولته الشَهيرة صلى الله عليه وسلم لِبلال: (أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ)، وَكَان بلال يُؤذِّن للصَّلاة من مَكان عَالٍ بجوار المَسجد النَبوي الشَريف، وَفي ذَلك يذكر السَمهودي أنّ الأذان في زَمنه صلى الله عليه وسلم كَان عَلى أسطوان في دَار عبدالله بن عُمر التي في قِبلة المَسجد، والأُسطوان المُربع يُقال لَه (المِطمار)؛ وَيُستدل من السَمهودي أنّ فِكرة المُناداة بالأذان من فُوق إنشاء مُرتفع كَانت مَوجودة مُنذ عَهد الرَسول صلى الله عليه وسلم وَالفَترة الرَاشدية، عِندما انطلق الإسلام من الجَزيرة العَربية، أمّا عَن أول مِئذنة مُستقلة في العِمارة الإسلامية؛ فَتَختلف النَظريات حَولها، فَهُناك مَنْ يَرى أنها كَانت في الفُسطاط بمصر؛ حيث ذَكر المؤرخ المَقريزي في كتابه (الخطط المَقريزية)؛ أن أول مَنْ عَمل المَنائر بمصر لِلأذان مَسلمة بن مَخلد الأنصاري بِأمر من مُعاوية بن أبي سُفيان في جَامع

عَمــرو بن العَاص عَام ٥٣هـ وَمِنهم مَنْ يَرى أنّ أَول ظُهورها كَان في دِمشق؛ حيث يَرى أَنّ المَآذن اتُخذت لِأول مَرة في دِمشق، حيث استُخدمت أبراج المَعبد الوَثني القَديم لأول مَرة، وَهو الذي قَام عَلى أنقاضه المَسجد الأُموي بِدمشق، كَما يَذكر المؤرخ البَلاذري فــي كِتابه (فُتوح البُلدان)؛ أنَّ أوَّل مئذنةٍ شُــيِّدت كانت على يد (زِياد بــن أبية) عامل مُعاوية بن أبي ســفيان في مَدينة البصرة عام ٤٥هـ/٦٦٥م، وَمَع مُرور الوَقت أصبحت المئذنة تُشــكّل قِطاعًا قَائمًا بِذَاته في فَن العِمارة الإِسلامية، وَأولاها المِعماريون عِناية كَبيــرة وَأَبدعوا في تَصميمهــا وَتَنفيذها وَارتفاعاتها وَزَخارفها.

تَنوّع طُرز المآذن وعَالمية الحَضارة الإِسلامية

مِن المَعــروف أنّ بداية ظهور الإِســلام في الجَزيرة العَربية ومن ثم انتشر بشكل كَبير في شَرق وغَرب العَالم الإِســلامي؛ وصَاحب هَذا الانتشــار انتشار بناء المَســاجد، وانتشار بناء المَآذن، والتي كَانت جُزءًا أَصيلاً مِن مُكونات هَذه المَســاجد، وَتَنوّعت الطُرز المِعماريــة لِهَذه المَآذن باختــلاف الأَقاليم وَالبُلدان، وَهذا التَنوّع يُوضح مَدى مَرونة الحَضارة الإِسلامية في التَطبيق، وَذَلك للاختلاف النَاتج عَن تَباين البِيئة الجُغرافية وَالمُناخية وَالســياق التَاريخي وَالثَقافي، والذي يُعــرف بالمَوروث المَحلــي، كَمــا تَنوّعت مَواد البِناء وَالزَخارف، وَكانت المَآذن الأُولى التي شَــيّدها المُســلمون أبراجًا مُربعةً، ثُم انتقل هَذا الطِراز إلى سَائر أَنحاء العَالم الإِسلامي، ولا سيما في الجَزيرة العَربية وَالمَغرب وَالأندلس، أمّا المآذن الأولى في إيران فتّميّــزت مُعظمها بأنّها كَانت مُثمنة الشَــكل، ثُم غَلب عَليها الشَــكل الأســطواني بــدءًا من ق٥هـ/١١م وَتَنتهي في أعلاها بِشــرفة تَقوم عَلى حِطات من المُقرنصات، وَتَمَيّــزت بتَزيينها بِالزَخارف الهَندســية وَالكِتابيــة المُتنوّعة، أو بِكِســوة مِن بَلاطات القَاشاني.

أمّا في آســيا الصُغــرى فَقــد زَاد العُثمانيون في ارتفاع المَآذن، وَأصبحت المَآذن أســطوانية مَشــوقة تَعلوها قِمة مَخروطية مُدبّبة عَلى شَكل سِن قَلم الرُصاص، وَامتَازت بِالرَشــاقة وَالجَمال، كَما زَاد عَدد المَآذن في المَســاجد الإيرانية والتُركية حتى بَلغ سِت مَآذن في بَعض الأَحيان، كَما فِي جَامع السُــلطان

أَحمد فـي القُسـطنطينية، وَقَد انتشـر الطراز العُثماني في الوِلايات العُثمانية التي ضمّها التُرك إلى إمبراطوريتهم.

أمّا في مِصـر فَقد ذَاعت طُرز مُختلفـة من المَآذن؛ وَأَقدم النَماذج المَوجـودة بَها مِئذنة جَامع أَحمد بن طُولون، والتي تَتميز بِسلمها الخَارجي الحَلزوني؛ والتي صُممت عَلى نَسق مِئذنة المَسجد الجَامع ومَسجد أبي دلف بِمَدينة سامراء العِراقية، كَما انتشرت المَآذن عَلى طِراز المَبخرة فـي العَصرين الأَيوبي والمَملوكي البَحري، ثُم المَـآذن عَلى طِراز القُلة المَملوكية والذي ذَاع خِلال العَصر المَملوكي الجَركسـي، وأخيرًا طِراز سِن قَلم الرصاص العُثماني.

القِيم الجَمالية وَالفَنية لِلمآذن

يُعتبر عُنصر المَآذن من العَناصر التَشكيلية المُهمة التي تُعطي لِلمَسـجد شَخصيته المُتميزة، وَأصبح عُنصرًا أَساسـيًا من شَـاراته وَرُموزه الأَساسـية، وَتَعكس المَآذن عَددًا من القِيم الجَمالية وَالفَنية التي تَعكـس عَظمة وَعَالمية الحَضارة الإسـلامية، منها السُـمو والرِفعة، فَارتفاع المِئذنة بِصُورة شَـاهقة مُرتفعة فَي السَماء تُردّد جَميعها خَمس مَرات كُل يُومٍ من المَشـرق إلى المَغرب أذان المُسلمين (اللّه أكبر اللّه أكبر) مُعلنةً أن الإسلام دِين عَالمي في كُل مَكان وَكُل زَمان، وَلقد رَبط المُسـلمون بين الأذان وَالرفعة وَالسُـمو، تلك الصُـورة وَذَلك الرَبط انتقـلا رَمزيًا لِلمِئذنـة، وَأصبح عَامل الارتفاع بِالنسـبة لِلمَآذن مُبالغاً فِيه، بِما يَتجاوز الغَرض الوَظيفي الرَئيس، وَهُو إعلان الصلاة لِتُـؤدي دَورًا تَعبيريًا أكثر مِنه وَظيفيًا، وَخَير مِثال عَلى ذَلك مَآذن جَامع محمد عَلي بَاشـا بِالقَاهرة، والتي يَصل ارتفاعها لِنحو (٨٤م)، وَمِئذنة جَامع قُطب مَنار بِدلهي في الهِند وَارتفاعها (٧٣م)، وَمِئذنة جَامع الكُتبية بِمَراكـش بالمَغرب وَارتفاعها حَوالي (٦٧,٧٠م).

كَما تُعتبر المِئذنة من أهم عَناصر التَشكيل البَصري لِلمَدينة الإسلامية، وَمن هُنا أصبح الكَثير من المُدن تُعرف بِمَآذنها وَخَير مِثـال على ذَلك: مَدينة القَاهرة، وَالتي اشتُهرت بِتَسميتها بـ(مَدينة الألف مِئذنة)؛ فنجـد مثلاً شَـارع المُعز لِديـن اللّه بِمَدينة القَاهرة يُمثّل مُتحفًا مَفتوحًا لِطُـرز مُتنوّعة من المَآذن، بدءًا مـن العَصر الفَاطمـي وَحتى عَصـر مَحمد عَلي

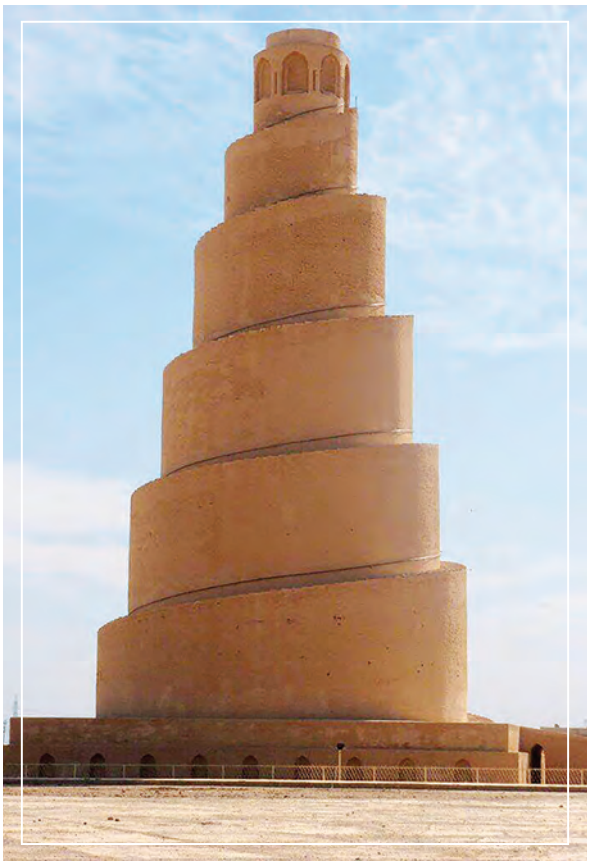

باشا، حيث تُشرف مَآذن جَميع المُنشآت تَقريبًا عَلى شَارع المُعز مُهيمنةً عَلى التَشكيل البَصري العَام لِلتَكوينات المِعمارية بِالشَارع.

كَما أصبح لِلمِئذنة دَور تَعبيري كَبير، حتى صَارت رَمزًا لِلإسلام، كَما تُعبّر المَآذن مِن حَيث ضَخامتها وَعِمارتها المُحكمة وَارتفاعها الكَبير عَن قُوة وانتشار الإسلام وَهَيمنته عَلى أكبر رُقعة جَغرافية.

أَصبحت المَآذن مَثار إعجاب المُؤرخين وَالرّحالة الذين عبّروا عنها في كِتاباتهم وَوَصفهم، كَما جَاءت لَوحات كِبار المُصوّرين وَالرَسّامين المُستشرقين العَالميين مُعبّرة عَن المَآذن؛ وجَاءت رُسوم المآذن في هَذه اللوحات المَلمح المِعماري المُميّز فيها، وقد اتسمت بِالوَاقعية الشَديدة وَالاهتمام بِالتَفاصيل المِعمارية، فقد استطاع هَؤلاء المُصورون أن يَنقلوا بِفرشاتهم الطُرز المِعمارية المُختلفة لِلمِئذنة وَالمُميّزة لِكُل مَدينة وَلكل فَترة تَاريخية، وَتُعرض هَذه اللوحات فِي المَعارض الدَولية وَالمَزادات العَالمية مُعبّرةً عَن عَالمية الحَضارة والعِمارة الإسلامية وَتَأثيرها الكَبير في الغَرب، ومن أهم هؤلاء المصورين المعماري والمستشرق الفرنسي باسكال كوست (١٧٨٧-١٨٧٩م)، والرسّام الأسكتلندي ديفيد روبرتس (١٧٩٦-١٨٦٥م) وغيرهم الكثير.

وأخيرًا، تَنتشر المَآذن في مُعظم بُلدان العَالم تُعلن عن أذان وَاحد وإعلان مضمونه (اللّه أكبر اللّه أكبر)؛ تَنتشر في أمريكا وَأوروبا وَآسيا وَالصين وغَيرها، وَتَتَنوّع فِي أَشكالها وَطُرزها، وَبَلغت دَرجة كَبيرة جدًا في دِقة التَصميم والارتفاع، وَالزَخارف وَالنُقوش الإسلامية البَديعة مُعبرةً عَن عَالمية الحَضارة الإسلامية وانتشارها في شتى ربوع الأرض.

المصادر والمراجع

١- إبراهيم بن صالح الخضيري، أحكام بناء المساجد في الشريعة الإسلامية، أبحاث ندوة عمارة المساجد، م٥أ، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٥١.

٢- أحمد محمود محمد أمين، تفسير مفهوم العالمية كسمة للحضارة الإسلامية تطبيقاً على عنصر المئذنة، مجلة لبدة الكبرى، تصدرها كلية الآثار والسياحة جامعة المرقب بليبيا، ع١، جامعة المرقب، ليبيا، أبريل ٢٠١٤م.

٣- ذكي محمد حسن، تطور المآذن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٦م.

٤- صالح بن غانم السدلان، الضوابط الشرعية لعمارة المساجد، أبحاث ندوة عمارة المساجد، م٥أ، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١٣.

٥- عبد السلام أحمد نظيف، دراسات في العمارة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٢٨.

٦- فاطمة وليد النمري، أشكال وأساليب عمارة المآذن في مساجد المشرق الإسلامية، مخطوط رسالة ماجستير، كلية الآثار، الجامعة الأردنية، ١٩٩٧م.

٧- فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، مج١، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٦٤٣-٦٤٦.

٨- محمد السيد سالم: المآذن رحلة الشموخ والشروخ، مطابع الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٩- يحيى وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، الكتاب الثاني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٠٠-١٠٥.

العقل

ذلكم الجهاز المعجز الناطق الدائم على جلال الله

بقلم الدكتور أحمد علي سليمان
عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
جمهورية مصر العربية

جاء بنا ربنا إلى الدنيا لكي يُكمل بعضُنا بعضًا، ويساعد بعضُنا بعضًا، ويحترم بعضُنا بعضًا. فاحترامنا لأنفسنا ولغيرنا هو احترام لصنعة الله تعالى؛ فالله خلقنا وصورنا في أحسن تقويم... وميزنا بمزيةٍ غايةٍ في التكريم والإجلال والإبداع وهي العقل. ولقد رفع الله عز وجل مقامَ العقل إلى أرفع المقامات، وجعله من أجلِّ نِعمه على عباده.

والعقل هو ذلكم الجهاز العجيب المعجز الذي منحه للإنسان، ليكون بمثابة الموجه، والمحرك، والقائد للإنسان؛ به يحول الصور والأصوات والأشكال والحركات إلى معانٍ ودلالات، وبه يحيا الإنسان حياة طيبة، وبه يميز بين الخير والشر، والهدى والضلال، وأكرِم به من نعمة عظمى!

كما أعده الله تعالى وشرَّفه لاستقبال أنوار الوحي الشريف المعصوم، وحرَّم على الإنسان أن يعتدي على هذا الجهاز العجيب بأي صورة من صور الاعتداء، أو تعطيله عن عمله. وجعل التفكر فريضة إسلامية، كما شرَّفه غاية التشريف بأن جعله مناط التكليف؛ لذلك مَن لا عقل له لا تكليف عليه.

ومن رحمات الله تعالى بالإنسان أنه جعل للعقل البشري طاقات، ولم يحمِّله ما لا طاقة له به، وجعل له حدودًا يقف عندها ولا يستطيع أن يتجاوزها، كـ"الغيبيات" التي ليس للعقل فيها إدراك على التفصيل، ولا شك أن في هذا صيانة للعقل البشري من الانحراف والزيغ والفرقة والخلاف.

تدريب العقول:

وقد جاءت آيات قرآنية كثيرة ترمي إلى تدريب العقل على استقراء واستنباط واستلهام آيات الله وآلائه في كتابيه: المسطور (القرآن الكريم)، والمنظور (الكون الفسيح)، والسباحة الفكرية في ملكوته، على الدوام وبشكل دائب لا ينقطع؛ للارتقاء به في مراتب التفكير العليا، وحتى يظل العقل في كنف أنوار الله العظيم، بعيدًا عن الشطط أو الانحراف.

لقد بدأ الأمر الإلهي الكريم في القرآن العظيم بقوله تعالى: (اقْرَأْ)، ثم أمر الإنسان أن يتدبر في نفسه وفي خلقه "وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ"، وأمره أن يعمق النظر ويقلبه في كل آلائه ومخلوقاته؛ ليظل عقل المسلم وفكره في عمل دائب مع الله؛ ولإفادة النفس والكون والحياة.

لقد سبق القرآن العظيم - وهو يبني شخصية المسلم فكريًّا وعقليًّا- إلى الارتقاء في مراتب

التفكير العليا من ناحية، وإلى احترام قيم العلم، والعمل الجماعي، والشورى، والتنوع، واحترام المخالف، والابتعاد عن الانفعالات غير المنضبطة، والرجوع إلى أهل الذكر في كل مجال، ومجاهدة العقل والفكر لكي يكون متوازنًا، والإيمان بالفروق الفردية، والتسامح، والتركيز على غرس القيم الدافعة للتقدم، وعلى رأسها قيم الإحسان والإتقان والبراعة في التفكير والتعبير.

التربية العقلية (البصرية والسمعية):

دعا القرآن الكريم إلى البناء العقلي والفكري من خلال التربية البصرية، وتعميق النظر في بديع صنع الله في الكون، فالناظر المدقق في ذلك يلحظ أن الإنسان تعلم الفن، والذوق الرفيع من الطبيعة والكون، من الزروع والورود والزهور والنباتات... من الرخام، والطاؤوس، والطيور، والأسماك، وقوس قُزح وتداخل الألوان في السماء وغيرها من مخلوقات الله.

كما دعا أيضًا إلى البناء العقلي والفكري من خلال التربية السمعية بتدريب الأذن على السباحة والسياحة في ملكوت الله، وسماع النغم الطاهر الذي خلقه الله في هذا الكون، فمن أنغام الكون (أصوات الرياح، وأصوات البحار، وأصوات الطيور والمخلوقات, وأصوات مرور الهواء بين الزروع والأشجار... وغيرها)، كل ذلك من أجل أن تتأدب النفوس وتتهذب وترقى في هذه الحياة.

لذلك عاتب الله تعالى أولئك الذين لا يُعملون عقولهم، ويعطلونها، وشبههم بالأنعام، بل هم أضل. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾. (الأعراف، ١٧٩).

بصمات التفكير الثراء والإثراء:

أفاض المولى القدير جلت قدرته على كل واحد منَّا فيوضًا عقلية وفكرية وإبداعية، ومنح كل واحد منَّا بصمة معينة في التفكير والإبداع؛ لماذا؟

لكي نتكامل في بناء البشر والوطن وإعمار الكون والحياة.
بأفكارنا جميعا.
وبإبداعنا جميعا.
وبعطائنا جميعا.

فكلنا شركاء في المسؤولية وفي بناء الوطن وإعمار الكون والحياة وإسعادها.

ومن هنا نفقه جيدًا لماذا التنوع في الفهم والتفكير والتعبير والأداء بين الأشخاص؟ بل التنوع في فكر الشخص في مراحل حياته المختلفة، بل التنوع في المرحلة الواحدة من حياته التي يعتريها تنوع في التفكير والفهوم، لماذا؟

إنه الثراء والإثراء، فما بالنا بفهوم الآخرين؟ إنه الثراء والإثراء بمفهومه الشامل الذي يبني الإنسان والمجتمعات والحضارات، ويا له من فيض عميم!

لذلك فإننا في مسيس الحاجة إلى أن يطّلع كل منَّا على فكر الآخر، ويستقرئه بتأنٍ وروية وإمعان وتجرد. دون إصدار أحكام مسبقة؛ فالمخالف لك هو مرآتك، وقد يرى فيك ما لم تره أنت في نفسك، وربما لا يراه مَن هو على شاكلتك وفكرك واتجاهك. مخرجاته العقلية هي نتاج العقل الذي ميزنا الله به عن غيرنا من المخلوقات. وقد تكون نتيجة لخطئك أنت، وقد تنير لك دروبًا مهمة على طريق الصلاح والإصلاح والنجاح. وصدق الحق سبحانه وتعالى القائل: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ...﴾. (سورة البقرة، ٢٥١).

علائم ريادة العقل المسلم:

لقد وظّف المسلمون عقولهم خير توظيف، فكتب الله تعالى لهم الريادة والسيادة... ورفعهم إلى أعلى الأعالي. وكان العصر الإسلامي الأول خيرُ

دليل على ذلك؛ فهو العصر الذهبي لتدوين العلوم، ففي أقل من خمسين عامًا من آخر الدولة الأموية إلى صدر الدولة العباسية كانت أغلب العلوم قد دُونت ونُظِّمت، وخصوصًا علوم الرياضة والمنطق والفلسفة وعلم الكلام. وكان نشاط المسلمين في ذلك يلفت الأنظار، فقد نظم العلماء أنفسهم فرقًا كفرق الجيش، كل فرقة تغزو الجهل في ناحيتها، وفرقة تؤصل الأصول للغة، وفرقة للحديث، وفرقة للنحو، وفرقة لعلم الكلام، وفرقة للرياضيات، وهكذا، وهم يتسابقون في تدوين العلم وتنظيمه.. تسابقت قبائل العرب في الدفاع عن الدين والوطن، كل قبيلة تود أن تكون السابقة في الميدان، ووجد في ساحة الميدان العلمي قواد بارزون يتنافسون في الابتكار، فإذا فاز أبو حنيفة بوضع الفقه، ثارت حماسة الخليل بن أحمد فيضع العَروض ويرسم المنهج لمعجم اللغة.

وكان لكل علم من هذه العلوم - سواءً العلوم النقلية أو العقلية- منهج خاص في التأليف والبحث والدراسة. فمنهج العلوم النقلية اعتمد على الرواية وصحة السند، في حين اعتمد (المحدثون) بجمع الأحاديث واختبار أسانيدها؛ لمعرفة جيدها من رديئها، فضلا عن دراسة الرواة لمعرفة أسانيدهم ومعرفة أحوالهم... إلخ. أما المفسرون فكانوا يعتمدون على نقل ما روي عن الصحابة والتابعين من تفسير الآيات. ومثل ذلك يُقال في علوم اللغة والأدب، فاللغوي يروي ما سمع من العرب أو يروي ما سمع من أعرابي أو عالم، وكثيرًا ما يذكر السند مثلما نراه في كتاب الأغاني للأصفهاني.

هذا بالنسبة إلى العلوم النقلية. أما العلوم العقلية كالرياضيات والطبيعة والطب والفلك -كما يقول أحمد أمين- "فكانت تعتمد على معقولية الحقائق وامتحانها، إما من طريق المنطق، أو عن طريق تجربة الحقائق وامتحانها عمليًّا، فإذا ذكرت حقيقة فقلما يعنون بقائلها، ولكنهم يعنون بوضعها تحت قواعد المنطق، وهل من قوانينه ما يؤيدها أو ينقضها؟ وكذلك قد يمتحنونها عمليًّا ليرقبوا نتيجتها فيحكموا عليها بالخطأ أو الصواب. وثمة علوم أخرى أخذت بالمنهجين كالفقه؛ فكثير من الفقهاء لم يعتمدوا على المنهج الأول من الاستدلال بآية أو حديث فقط، بل استعملوا الدليل المنطقي في تأييد مذهبهم والرد على خصومهم.. وهكذا. وكان لكل منهج أثر كبير في أصحابه من حيث الأخلاق العلمية والصفات العقلية...".

وهكذا نستجلي دور العقل في نهضة المسلمين الأوائل، لندلل على أن المسلمين هم أول مَن أبدعوا المنهج العلمي، وهم مَن أضاءوا مشاعل الحضارة، وقت أن كان غيرهم يعيشون تيه الظلام والتخلف.

لقد نهض المسلمون عندما تعلقوا بحبال الله، وعندما كانت قلوبهم متعلقة بالوحي الشريف المعصوم. وعندما كان منهجهم في الحياة ونظرتهم لها تنطلق من المنظور الإلهي للإنسان والكون والحياة، وعندما أيقنوا أن العقل شريك النص في معرفة الحقائق. ونهضوا عندما تحررت عقولهم من أغلال الجهل وأسر التأثيرات الفلسفية الشاذة التي تسعى للتشويش على منظومة القيم التي جاء بها رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم)، ومن بينها القيم الدافعة للتقدم في الفكر الإسلامي.

وإذا كان ديننا الحنيف يحثنا على البراعة في العلم والتعلم، والعمل والإبداع والإتقان، والانطلاق من الرصيد العقلي النفيس الذي أفاض الله تعالى به على علمائنا ومفكرينا ومجددينا، وأن نأخذ ما يقذف به العلم الحديث من منجزات حضارية نافعة؛ لنرقي الحياة بالأداء الحضاري المتميز بالعلم النافع والعمل المتقن المبدع لخدمة ديننا وأوطاننا والإنسانية جمعاء، فإنه في الوقت نفسه يجب أن نشكر الله الجليل دائمًا على نعمه الجليلة ومن أهمها نعمة العقل، ذلكم الجهاز المعجز، الناطق الدائم، على جلال الله تعالى وعظمته.

التوتـر والقلق
وصحة أجسامنا

بقلم د. حذيفة الخراط ـ المدينة المنورة

في عالمنا المعاصر، وما تشـــهده حياتنا اليومية من صور الانفعالات والقلق والضغط النفسي، تبدو لنا أهمية الكشف عمّا تخلّـــفه تلك المؤثرات، من أضرار مدمرة في صحة الجســـم الذي يدفع ثمن ذلك غالياً، في صورة قائمة طويلة من الأمراض والتبعات الصحية.

لقد أثبت العلـــم الحديث وجود رابط وثيق، يعكس تفاعـــلات خفية لهـــا أبعاد صحيـــة خطيرة في جسم الإنسان، تدور رحاها بين أغوار العقل الباطن ومسار النفـــس من جهة، وأجهزة الجسم المختلفة من جهة أخرى.

ويوماً بعد يـــوم، يزداد نهم النشـــاط العلميّ في التنقيب عن أسرار جسم الإنسان، وتُـــبذل لذلك الكثير من الجهود لكشف النقاب عن أسرار الجسم ذي الصنع البديع، وما حواه من آيات الدقة والإتقان التي يصعب إحصاؤها أو حصرها.

ومن حقائق الأمور أنّ جسم الإنسان ليس كتلة مادية تمثّل جسداً فحسب، بل ثمة نفْس تتّحد بهذا الجسد، وينشأ عن هذا الاتحاد، نسيج فريد تنصهر خلاله النفْس بالجسد في بوتقة واحدة، ويؤثر كلّ من هذين العاملين في شقه الآخر. وقد أيقن العلماء بأنّ للنفْس أمراضاً تماماً كما للجسد، وأنّ انعكاسات خطيرة تظهر لاحقاً في الجسد نتيجة للارتباط الوثيق والوحدة التي لا تنفك بين النفْس والجسد الإنساني.

وقد كشف الطب الحديث عن جانب كبير من التفاعلات الدقيقة التي تدور بين الجسم من جهة والعقل الباطن (أو النفْس) من جهة مقابلة، وعن دور الضغوط النفْسية في إيجاد بيئة سلبية تتأثر فيها خلايا الجسم وأجهزته المختلفة، ولذلك فقد ظهرتْ لدينا قائمة طويلة ممّا يعرف بالأمراض النفسجدية Psychosomatic disorders ، التي تعرّفها كتب طب النفس، بأنها مجموعة من الاضطرابات التي تظهر أعراضها المرضية في جسم الإنسان، وتنشأ عن عوامل نفسية مختلفة.

تنصّ مراجع الطب النفسي، على أنّ للتوترات والضغوط النفسية - ولا سيما المزمن منها - إسهامها الواضح في إحداث الخلل في أنظمة الجسم الداخلية، وهنا نرى أنّ حالة عامة من الفوضى وعدم الاستقرار، ستظهر في نظام الجسم، وسيترافق ذلك مع استثارة الجهاز العصبي، وما يصحبها من توتر جهاز الغدد الصماء، وتنشيط إفراز الهرمونات المختلفة.

وينهش التوتر النفْسي المتواصل أجسامَنا بطرق كثيرة، ويكاد يظهر أثره المدمر في صحة معظم أجهزة الجسم، التي تتجرّع تبعات ذاك التوتر، الذي ثبت أنّ له دوراً في إطالة مدة المرض العضوي، بالإضافة إلى زيادة حدَّته.

ويأتي الجهاز الهضمي في رأس قائمة أجهزة الجسم التي تستهدفها سهام التوترات النفْسية، وتظهر هنا الكثير من التأثيرات الضارة التي تمسّ سلامة أداء هذا الجهاز الحيوي، إذ يتوقف السير الطبيعي لعملية الهضم، ويُحَدّ بصورة ملحوظة من إفراز اللعاب، وتتوقف تقلصات المعدة، ويقلّ إفراز إنزيماتها الهاضمة، وتتأثر عملية امتصاص الغذاء المهضوم في الأمعاء، ويظهر ذلك كلّه في صورة عسر الهضم.

وتشيع لدى الإنسان الذي يعاني ضروب التوتر والقلق حالات الإصابة بقرحة المعدة، ويعود ذلك إلى تآزر عوامل عدة، تعمل في ظهور هذه القرح، إذ يقلّ جريان الدم نحو أنسجة المعدة، وهذا يعني نقص كمية الأكسجين التي تصل إليها، ويصحب ذلك موت بعض خلايا المعدة تدريجياً، مما يؤمّن وسطاً مناسباً تنشأ به القروح الهضمية.

كما يزيد إفراز حمض المعدة وعصاراتها، ويقلّ إفراز المواد التي تحمي المعدة من آثار ما تفرزه من الحمض، ويرافق ذلك انخفاض مناعة الجسم، وتكاثر بعض أنواع البكتريا، وهي عوامل تسهم في ظهور قرحة المعدة.

ويكفي أن نضرب هنا مثلاً يدلّ على عظم حجم المشكلة، ما كان في الحرب العالمية الثانية في لندن، من تسجيل عدد كبير من حالات القرحة، نتيجة الضغوط النفْسية التي عاشها الأهالي هناك في أثناء الغارات الجوية، ومن الغريب أنّ عدد حالات الوفاة في تلك الأثناء بسبب الشدة النفسية والتوتر بلغ مليونين، أما في ساحة المعركة، فقد قلّ عدد القتلى من الجنود عن ذلك كثيراً، ولم يصل حتى إلى نصف مليون.

ومن شكاوى الجهاز الهضمي التالية للإصابة بالقلق أيضاً: كثرة الشعور بالغازات والنفخة

وألم البطن، نتيجة ما يحدث من سوء الهضم، بالإضافة إلى حدوث نوبات من الإسهال الحاد، أو الإمساك المزمن، وتأتي مجمل هذه الأمور تحت ما يُعرف بداء تهيج الأمعاء Irritable bowel syndrome.

وماذا عن تأثير التوتر في صحة القلب؟

تظهر نتيجة للتوترات النفسية، العديد من التأثيرات الضارة التي تحدّ من سلامة أداء جهاز القلب والدورة الدموية، ويصاحب ذلك زيادة مستوى مادة "الأدرينالين" في جسم الإنسان، مما يسهم في تجمع الصفائح الدموية وتراكمها، وما ينتج عنه من احتمال تكون الجلطات التي تسد الشرايين.

ولاستثارة الجهاز العصبي نتيجة القلق أيضاً، دور في زيادة نبض القلب، وبمرور الوقت يبدأ ضغط الدم بالارتفاع بصورة مزمنة، وقد ينشأ عن ذلك مضاعفات خطيرة، كنزيف الدماغ وغيره. وتشهد الأوعية الدموية أيضاً حدوث تصلب الشرايين Atherosclerosis، وهو داء ذو أبعاد خطيرة تترسب خلاله الدهون في جدران الشرايين، ويضيق فيه قطر هذا الوعاء الدموي، فيقل الدم الذي يصل إلى أنسجة الجسم.

كما تقترح بعض الدراسات الحديثة وجود رابط بين التوترات النفسية وظهور أمراض القلب التاجية Coronary artery diseases، وهنا تقلّ كمية الدم التي تغذي عضلة القلب، وتظهر على المريض أعراض الذبحة الصدرية.

وماذا عن جهاز الغدد الصماء؟

تستثير العوامل النفسية المضطربة إفراز غدد الجسم، فيزيد حينها انتاج الغدة الكظرية Adrenal، والغدة النخامية Pituitary ، والبنكرياس، والغدة الدرقية، ويترتب على ذلك ظهور الكثير من الآثار والتبعات.

ويأتي الداء السكري في رأس قائمة التأثيرات الجانبية للتوتر، وتشير أصابع الاتهام إلى عوامل عدة تكمن وراء ظهور هذا الداء، وتشترك فيها الغدد الصماء، إذ يتمّ ضخّ الهرمونات في الدم بنسب تفوق الحد الطبيعي، وتتحرك كميات كبيرة من سكر الجلوكوز نحو مجرى الدم، ويتمّ كبح إفراز الإنسولين.

وممّا يضطرب في نشاط الغدد أيضاً: الغدة الدرقية، إذ يزداد إفرازها، ليصل الأمر أحياناً إلى ظهور حالة تعرف بتسمم الغدة Thyrotoxicosis ، وهنا ينشط إفراز الهرمونات بصورة شاذة، ليصل إلى درجة تترك تأثيرات ضارة في العديد من أجهزة الجسم.

وهل من تأثيرات للتوتر في عظام الجسم وعضلاته؟

نعم، فللتوتر النفسي الدائم، تأثيراته المخربة في عظام الجسم وعضلاته، إذ تعمد الهرمونات المفرَزة في أثناء القلق، إلى تخريب عملية نقل معدن الكالسيوم، ويتبع هذا نقص ترسب هذا المعدن في العظام، وضعف كتلة العظام، وميلها للتكسر، فتظهر أعراض هشاشة العظام، وتتوقف عملية نمو العظام السليمة، ويزداد طرح الكلى لمعدن الكالسيوم عبر سائل البول، ممّا يسهم في نضوب مخزون هذا المعدن في الجسم.

ومن آثار التوتر الأخرى: استهلاك طاقة الجسم بصورة مستمرة، ويؤدي ذلك إلى إحداث تلف في عضلات الجسم، وإلى تفكك ما تحويه من البروتين، ولا تجد هذه العضلات وقتاً كافياً لإعادة بناء ما تمّ تفكيكه وتكسيره من وحدات البناء، فيحدث

بذلك ضمور عضلي تدريجي، عقب كلّ نوبة توتر أو قلق جديدتين.

وممّا يرد ذكره أيضاً من تأثيرات ضارة في صحة الجهاز الحركي، نرى احتمال زيادة أعراض داء الروماتيزم في المفاصل، وما يصحبه من آلام حادة.

تأثيرات القلق في صحة الجهاز التنفسي:

يرد ذكر تدهور الحالة النفسية ضمن قائمة أسباب مثيرات الحساسية، وعليه فإنّ التوتر يزيد من حدة حالات الربو، وما يصحبها من ضيق النفس، والكحة، نتيجة تضيق الشعب الهوائية.

من جهة أخرى، تكثر شكوى المريض المرهق نفسياً، من حدوث بعض حالات التهاب الأنف Rhinitis، وأعراضها كسيلان الأنف الغزير، والعطاس، والحكة، وتكثر كذلك الشكوى من حمى القش Hay fever ، وهي صورة أخرى من داء الحساسية، وتمتاز بالتهاب بطانة الأنف، الذي يعقبه ظهور أعراض تشبه سابقتها.

وقد أثبتت الدراسات أيضاً، أنّ ضعف مناعة الجسم المصاحب للتوتر النفسي يؤدي إلى زيادة حالات التهاب الجهاز التنفسي، نتيجة غزو البكتريا وغيرها من الكائنات الحية المجهرية، وتكاثرها ضمن أنسجة الرئتين والقصبات الهوائية، وما يعقب ذلك من حدوث الالتهابات.

مضاعفات التوتر والقلق في سلامة الجهاز العصبي وجهاز المناعة

ثمة الكثير من تأثيرات الاضطرابات النفسية التي تظهر في ساحة الجهاز العصبي، إذ تكثر هنا الشكوى من ضعف الذاكرة، وقلة التركيز الذهني، والميل نحو الخمود والخمول، والشكوى المستمرة من الصداع والصداع النصفي، ويعود ذلك إلى ضعف جريان الدم، وقلة وصول إمدادات الغذاء والأكسجين نحو الدماغ، وما يصاحب ذلك من ضمور في الخلايا العصبية، وتأثر سلامة أجزاء الدماغ المختلفة.

كما يحدّ التوتر المزمن من قدرات الجهاز المناعي، ومن عملية إنتاج الخلايا المناعية التي يقصر عمرها، ويصحب ذلك تعرض الجسم لمخاطر الأمراض، وقد لوحظ في إحدى الدراسات، كثرة ظهور حالات الإصابة بالزكام في صفوف طلاب الجامعة في أثناء فترة الامتحانات، وعُزي ذلك إلى ضعف أجهزتهم المناعية، نتيجة مرورهم بتلك الظروف المقلقة.

إلا أنّ الأمر المخيف هنا ما تؤكده بعض الدراسات الجارية في حيوانات التجارب، من أنّ التوتر يزيد من سرعة نمو الأورام السرطانية، نتيجة افتقار أجهزة تلك الحيوانات إلى القدرة المناعية التي تحدّ من نمو الخلايا الورمية، وصحيح أنّ هذا لم يثبت بعد في أجسامنا، إلا أنه قد يحدث ولو بعد حين.

التوتر والقلق وباقي أجهزة الجسم الأخرى

لا يقف أثر الاضطراب النفسي في صحة الجسم عند هذا الحد، بل يتخطاه ليصل إلى أجهزة أخرى في الجسم، وتذكر الأبحاث العلمية قائمة طويلة من العلل والأسقام التي تزداد عناصرها بين حين وآخر، تحت التأثير المباشر لهرمونات التوتر النفسي.

وما يُذكر من آثار: تَصاحب التوتر مع تدني مستوى إفراز الخصيتين لهرمونات الذكورة، وما يرافقه من ضعف عملية الانتصاب، والشكوى من الضعف الجنسي.

كما تكثر اضطرابات الدورة الشهرية في جسم

الأنثى، التي تصل أحياناً إلى حد انقطاع الطمث التام، وتضعف كذلك عملية الإباضة، وتقلّ فرص نمو الجنين في باطن الرحم، وقد سُجّلتْ الكثير من حالات الإجهاض لدى السيدات الحوامل.

أما ما يخصّ الجلد، فنلاحظ كثرة الشكوى من تساقط الشعر، وحالات التهاب الجلد المعروفة بالإكزيما، وزيادة حدة الالتهابات الجلدية نظراً لانخفاض مناعة الجسم، وظهور داء حب الشباب، وداء الصدفية Psoriasis، وغيرها من الأمراض الجلدية.

إذن ما الحل أمام معضلة التوتر النفسي تلك؟

عرفنا حتى الآن أبعادَ المشكلة، وما يخلّفه التوتر النفسي من آثار تترك بصمات واضحات في صحة أجهزة الجسم المختلفة، وإن أردنا أن نصدق القول، فإننا سنرى أنفسنا الآن أمام خيارين لا ثالث لهما: أولهما الاستسلام التام للتوتر النفسي والوقوع تحت رحمته، ليتصرّف بصحة أجسامنا كيفما شاء، وثانيهما التخلّص من قبضة ذاك الكابوس الجاثم، والتحرر منه نحو أفق جديدٍ خالٍ من التبعات المرهقات.

يقول ذوو الاختصاص: إنّ علاج مشكلة التوتر النفسي قائم على محورين رئيسين، أحدهما دوائي، والآخر سلوكي، ويعتمد الشق الأول، على استشارة طبيب نفسي، وبخاصة في حالات التوتر التي تزيد على الحد المألوف، لتصل إلى درجة تهدد فيها صحة الجسم، وعلينا هنا أن نؤكد أهمية كسر حاجز الخوف والتردد، الذي يمنع الكثيرين من زيارة الطبيب النفسي، وعلينا أن نقتنع بأن الاستشارة هنا واجبة، وليست ضرباً من ضياع الوقت أو المال.

ويأتي تحت محور العلاج الدوائي أيضاً، التشخيص الباكر لما قد يظهر من أمراض في أجهزة الجسم المختلفة، والمسارعة في تدبيرها قبل حدوث مضاعفات لا تحمد عقباها.

ولا يقلّ العلاج السلوكي أهمية عن الخط الأول، وما نعنيه هنا السعي إلى حلّ المشكلة عبر حوار بنّاء ووقفة صريحة مع النفْس، يتمّ خلالها توجيه كلمات تحمل إرشادات وعظات صادقات، حول أهمية إعادة التفكير في تنظيم أسلوب الحياة، والدعوة إلى المزيد من الحكمة والبصيرة والقدرة على ضبط النفس، وزيادة أرصدتنا من الخبرات، والتحكم في مشاعر الغضب، وقهر مشاعر الغيظ، ومحاولة تجفيف منابع التوتر قدر المستطاع، والاستسلام التام لما ساقته لنا الأقدار، خيرها وشرها، ومحاولة محو ذكريات الماضي الحزين المترسبة في قاع النفس. ويحضرني هنا قول الله تعالى وهو يحثنا على الصبر حين عدّه ضرباً من ضروب البر: ﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الشريف: ﴿عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر، فكان خيراً له﴾، وقوله في حديث آخر: ﴿من يستعفف يعفّه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبّر يصبّره الله، وما أُعطِي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر﴾.

ويترتب علينا أيضاً غرس قناعة تامة مفادها بأنّ هذا العالم المليء بالكثير من مظاهر التوتر ومصادره، والمشبع أيضاً بأمور مروعة ليس بإمكاننا تجنبها، هو بالمقابل أيضاً مليء بالكثير من الأشياء التي تدعونا إلى التفاؤل، وتنجح في زرع ابتسامة عفوية فوق شفاهنا. إذن فلنَدَع القلق، ولنبدأ الحياة.

الذهب الأبيض

بين مجلة الإعجاز العلمي والفاينانشيال تايمز

كتب ـ د. عثمان أبوزيد
رئيس التحرير

نشرت مجلة الإعجاز العلمي في عددها (٥٦) الصادر في فبراير ٢٠١٨م بحثاً علمياً بعنوان: حليب الإبل الذهب الأبيض وقاية وعلاج لمرض السكري. وفي ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٠م حملت صحيفة الفاينانشيال تايمز البريطانية تقريراً خاصاً من إفريقيا عنوانه: الرعاة يروجون لحليب الإبل باعتباره الغذاء الأمثل لإفريقيا.

من يقرأ البحث والتقرير، يجد توافقًا بينهما في المحتوى، حتى ليظن القارئ أن الصحيفة أخذت من المجلة ونقلت عنها...

المجلة والصحيفة كلتاهما سمّتا حليب الإبل بالذهب الأبيض، وإن زادت الفاينانشيال تايمز بوصف الحليب بإكسير الحياة، وكلتاهما عرضتا المميزات الطبية والعلاجية لهذا الحليب.

كتب البحث لمجلة الإعجاز أستاذان هما: د. محمد جياد النعيمي من السودان، ود. محمد جميل الحبّال من لبنان، أما التقرير فهو لأندري شيباني من كينيا.

من المعلومات اللافتة التي وردت في المادتين أن حليب الإبل:

ـ قليل الدسم ونسبة الشحوم فيه لا تزيد على (٢٪).

ـ يحتوي على مادة شبيهة بالأنسولين، لذا استخدم في علاج مرض السكري (لا ينتشر مرض السكري بين القبائل التي تعيش على حليب الإبل).

ـ ينفرد حليب الإبل بعلاج مرض التوحد، وتوجد فيه أجسام مناعية دقيقة تقتل الجراثيم.

الفرق الواضح بين المادتين أن الأولى خلفيتها هي الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، في حين أن المادة الثانية ذات بعد اقتصادي تنموي. وفي الحالة الثانية قاد الاكتشاف إلى مبادرة أعمال بإقامة شركات تستثمر في الإبل؛ هذا الحيوان الذي يمثل «مستشفى يمشي على قدمين»!

لكن الفرق الأكبر هو في الشكل الكتابي للمادتين، فبحث مجلة الإعجاز يتبع أسلوب الكتابة العلمية بمقدماتها وحيثياتها المعروفة التي تنتهي عادة باستنتاجات وخاتمة. أما التقرير فقد اتبع طريقة كتابة الملامح أو ما يسمونها بالإنجليزية (فيتشر)، وهي تقديم الموضوع في شكل قصص إنسانية، وأولاها قصة الكينية حليمة حاج (٨٠ سنة) التي تمشي وهي في كامل صحتها خلف قطعان من الجِمال. إنها تعزو صحتها وقوتها في هذا العمر إلى الذهب الأبيض حليب الإبل. وقصة أخرى عن ابنتها زمزم التي أحالت هذه العلاقة بين أسرتها وبين قطعان الإبل إلى مشروع تجاري ناجح، فهي توزع الحليب، وتصنع منه نوعًا من الـ (آيسكريم) والشوكولاته.

ثمة حكايات أخرى لمستثمرين يعملون على غزو أسواق أوروبا وأمريكا بهذا الحليب العضوي الذي سيكون (سوبرفود) إفريقيا والعالم، ويمكن إعداد قهوة بحليب الإبل بدأ عليها الطلب في كينيا أخذت اسم (كاملشينو)!

لعل هذا التوافق العجيب هو من باب «وقوع الحافر على الحافر»؟ أو كما قال الشاعر القديم:

ما أُرانا نقول إلا رجيعاً

ومعادًا من قولنا مكرورا.

من الفن الإسلامي